## الكتاب السادس

# في الســـلوك المسيـــحى ( ٢ )

## نحن والصليب والخلاص

## ٠٠ ومقالات أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

اسم السلسلـــة : نور الحياة
الكتـــاب السادس: في السلوك المسيحي (٢)
نحن والصليب والخلاص
.. ومقالات أخرى
المـــــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان
gamilnsoliman@yahoo.com
الطبعـــــــــة : الأولي ٢٠٠٩
الناشـــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي
ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤
المطبعـــــــــة : مدارس الأحد، ٧٠ شارع روض الفرج
رقم الإيـــداع : ١٠٧٤٥ / ٢٠٠٩م
الترقيم الـــــدولي : 977-5334-46-2

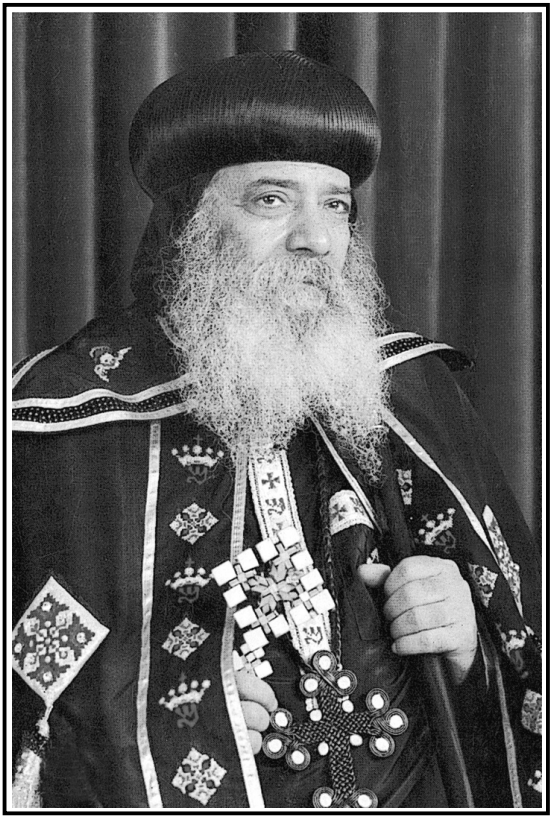

**صاحب القداسة والغبطة**

**البابا شنوده الثالث**

**بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ (١١٧)**

# المحتويـــات


**١ – نحن والتجسد** ٩

+ التجسد والإنسان الجديد ١٠
+ تجديد الحياة ٢١

**٢ – نحن والصليب** ٣١

+ نحن والصليب والخلاص ٣٢

**٣ – نحن والقيامة** ٣٩

+ القيامة وحياتنا العملية ٤٠
+ معنا ولا نشعر به ٤٧

**٤ – نحن والشهادة للمسيح** ٥٥

+ نحن أيضاً تلاميذ ٥٦
+ عندما يأتي الموت ٦٢

**٥ – نحن وحياتنا الروحية** ٧١

+ الروح القدس .. روح الحياة ٧٢
+ البعد الداخلي للحياة الروحية ٧٥
+ دعوة للاتضاع ٨٣

+ حياة الشكر ٩٤
+ الحياة في النور ١٠٠
+ الميل الثاني ١٠٦
+ الصوم المسيحي ١١٤
+ انسى ولا انسى ١٢١
+ المسيحي في مجتمع مضاد ١٢٨
+ شباب خارج الأبواب ١٣١

# كلمة الى القارئ

عندما صدر الكتاب الأول من هذه السلسلة "**في السلوك المسيحي**" (٢٠٠٧) نوّهنا إلى أن موضوع السلوك المسيحي لن يكفيه كتاب واحد. فوصايا الرب وحياة الإيمان ليست أموراً نعتقد بها ونرددها، وإنما المحك الحقيقي أن تُترجم إلى سلوك يصبغ كل نشاط حياتنا الباطنة والظاهرة. وسيظل مقياس النجاح هو إلى أي مدىً صار الإيمان حياة، والممارسات تجردت من الشكل وتجاوزته إلى الاتحاد بالمسيح وسكنى الروح والقفز فوق الواقع إلى ما وراء الحُجُب والحياة في الملكوت هنا على الأرض.

وقد لاقى الكتاب الأول صدىً طيباً، حتى أنه نفدت طبعته الأولى بما يشي بحاجة القارئ إلى ما يخاطب اتجاهاته الحياتية.

من هنا فنحن نقدم في هذا الكتاب الخاص من سلسلة "**نور الحياة**" جزءاً ثانياً "**في السلوك المسيحي**" ، ولكن هذه المرة يتناول علاقتنا بأساسيات الإيمان المسيحي: بالتجسد، والصليب، والقيامة، والشهادة للمسيح، وحياتنا الروحية بأبعادها المختلفة تأكيداً على نشاطها الباطن لا الظاهر الذي يضرمه الروح، وتسليطاً للضوء على بعض أعمدتها الرئيسية : الاتضاع والشكر وغنى العطاء والحياة في النور، وتدقيقاً لبعض أمور العبادة والتي قد تُمارس كما لقوم عادة، وحثًّا على السلوك بالحب ضد الكراهية والانغلاق والرفض التي تسود المجتمع، وتحذيراً من فقدان الطريق ونسيان العهد أو الوقوف بالباب.

❄ ❄ ❄

ونضيف في النهاية: أن مصدر هذه السلسلة من الكتب – كما ذكرنا – هو مقالات نُشرت للكاتب في مجلات من قبل .. ولكن هذا لا يعني أن كل الجهد

المبذول هنا هو مجرد تجميع المقالات التي يضمها موضوع واحد بصورة آلية في كتاب وينتهي الأمر.

ذلك أن المقال عندما ينشر منفرداً في مناسبته يكون لها سياقه الذي يختلف عما يكون عليه الحال إذا ضُمّ المقال إلى غيره في سياق آخر..

هذا يقتضي تعديلاً وإعادة صياغة واجتهاداً يجعل مجموعة المقالات، التي كانت متناثرة قبلاً، تشكّل الآن بناءً متماسكًا جديداً يتصاعد على مدى صفحات الكتاب أو أجزائه المختلفة بما يحقق الفائدة للقارئ ويصيب الهدف الذي يسعى إليه هذا الجهد.

وإني أطلب صلوات كل من يقرأ هذا الكتاب ليستخدم الله هذا الجهد المتواضع لمجد اسمه وامتداد ملكوته.

١

# نحن والتجسد

+ التجسد والإنسان الجديد
+ تجديد الحياة

# التجسد والإنسان الجديد

يصف بعض المفكِّرين الإنسان بأنه مخلوق متديِّن، أي أنه يميل إلى عبادة إلهٍ ما، ويركن إلى عقيدةٍ ما ينتمي إليها فتمنحه شيئاً من الطمأنينة والاستقرار.

وهذا التطلُّع إلى الإلهيات عنصر أصيل وكياني في كل البشر على اختلاف ألوانهم. وفي أعماق الضمير ميل للخير ونفور من الشر، حتى وإن انجذب الإنسان وانخدع من شهوته (يع ١:١٤) ليُخطئ ضد إرادته وضد صوت ضميره.

ويُنبئنا الوحي الإلهي أن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه (تك ١:٢٦و٢٧)، وأنه نفخ في أنفه نسمة حياة فصار نفساً حيَّة (تك ٢:٧). فروح الإنسان هي من الله، وهي سر شوقه إلى القداسة والروحيات، وهي أصل تفرُّده بالعقل بين كل المخلوقات، وهي وراء تمتُّعه بالحرية وحق الاختيار، وهي – لأنها كالله خالدة لا تموت – نَبْعُ هذا اليقين بالخلود وتجاوز الزمن، وهي عماد تفرُّد الإنسان وسيادته على جميع المخلوقات "وعلى كل الأرض" (تك ١:٢٦-٢٩) حتى أنه دعا بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية (تك ٢:١٩و٢٠).

## دور الخطية

ولا شكَّ أن الخطية شوَّهت صورة الإنسان وأفسدت كيانه، وعطَّلت مقاصد الله فيه، وأخرجته من دائرة النعمة إلى دائرة الهلاك، وفسخت وحدته مع الله ليُعاني الوحدة والغربة وخوف الموت. وبعد أن كان ابناً ووارثاً صار عبداً فاقداً لكل حقوق الميراث.

## محاولات قديمة

ولكن توق الإنسان إلى الخلود واللامتناهي، وعبادة الإله، والاحتماء في الدين، للتغلُّب على محدوديته (بالموت الذي يترصَّده)، لم ينطفئ؛ بل ظل عنصراً أصيلاً في حياة الشعوب. وبينما كان الله يواصل خطته لخلاص الإنسان، واقتناء شعب له لحفظ الإيمان إلى مجيء المخلِّص في ملء الزمان، واختيار المبشِّرين به بدءاً من **أخنوخ ونوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى ومَن بعدهم من الأنبياء**؛ فإن الأُمم الأخرى – المخلوقة هي أيضاً على صورة الله – بقيت في عمق كيانها على عطشها إلى المطلق والأبدي، وسعيها الدائب نحو الخير الأسمى والحق والكمال، وعبادة الإله حتى في صورة القُوَى المخلوقة (رو ١:٢٣). فهم يلمسون حضور الله فيما حولهم من صور الطبيعة (رو ١:٢٠)، وتنوُّع الكائنات ومظاهر الحياة التي لا يُدركون كنهها [كما ذكر الرب في أحد أمثال الملكوت "كأن إنساناً يُلقي البذار على الأرض، وينام ويقوم ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو، **وهو لا يعلم كيف**" (مر ٤:٢٦و٢٧)].

والمصريون القدماء عبدوا الإله الواحد في كثير من الرموز: الشمس الواهبة الحياة والضياء، وغيرها. وصلواتهم تُنبئ عن إيمان عميق بيوم للحساب وحياة بعد الموت، وهكذا شيَّدوا المعابد ومدافن الملوك وحفظوا الأجساد حتى يوم البعث.

وفي الأديان الأسيوية القديمة (الهندوسية، البوذية، الشنتو) معابد وعبادات وصلوات وأدبيات تنشُد الخير وتندِّد بالشر. وهناك دوماً تطلُّع إلى قوة غير محدودة تتجاوز قصور الإنسان الذي تنتهي حياته دوماً بالموت.

ومع العقيدة ارتبط التديُّن بممارسات وفرائض وطقوس معينة في نواحي الصلاة

والصوم وغيره من ألوان النسك، وحِفظ نصوص معينة، وتلاوة طلبات وأناشيد تُسبِّح المعبود، واحتفالات بأيام خاصة وأعياد لها مناسباتها، وربما أيضاً ارتداء أزياء بذاتها والالتزام بهيئة معينة، كذلك زيارة أماكن بعينها في مناسبات محددة تثير الوجدان وتمنح راحة نفسية للكثيرين. وبمضيّ الأجيال قامت حواجز التعصُّب والاقتناع بامتلاك الحق في كل عقيدة.

## عن شعب الله

داخل نطاق شعب الله **في العهد القديم** كان الأمر يختلف. **فالناموس** لم يكن هدفاً في ذاته، وإنما **كان مؤدِّبهم إلى المسيح كي يتبرروا بالإيمان** (غل ٣:٢٤). وكانت **ذبيحة الفصح**، التي تأسَّست ليلة الخروج من مصر إلى كنعان، وصارت تذكاراً وعيداً للرب (خر ١٢:١٤)، **رمزاً لذبيحة الصليب التي تمت في ملء الزمان**، وصنع بها الرب **فداءً أبدياً**، وبها بدأ **عهدٌ جديد** بين الله والناس. **وكان الرب المسيَّا هو محور الأحداث والنبوَّات**، بدءاً من موسى وحتى المعمدان.

وضمن شعب الله كان البعض في انتظار المسيَّا متوقِّعين تعزية إسرائيل (مثل **زكريا الكاهن وسمعان الشيخ وحنَّة النبية**)، فلما جاء إلى أرضنا آمنوا به وتبعوه، بينما ارتبك البعض الآخر في ممارسات العبادة الشكلية والفرائض الجسدية المستقلة عن الله، وضاع منهم هدف الملكوت وانحصروا في مجرد الغسلات والتطهيرات والتوجُّس مما هو نجس (عب ٩:١٠). وقادة الشعب من الكتبة والفرِّيسيين صار لهم الدين حرفة، فاحتموا به مكتسين بمظاهر التقوى، بينما هم مشحونون رياءً وإثماً (مت ٢٣:٢٨). وبينما اهتموا بتعشير النعنع والشبث والسذَّاب والكمون، تركوا "أثقل الناموس": الحق والرحمة والإيمان ومحبة الله (مت ٢٣:٢٣، لو ١١:٤٢). ومن هنا نعتهم الرب بالجهل والغباء (مت ٢٣:١٧و١٩)، وأنهم عميان قادة عميان (مت ١٥:١٤؛ ٢٣:١٦و١٧و١٩و٢٤و٢٦).

## عن غير المؤمنين

والكتبة والفرِّيسيون في موقفهم هذا لم يختلفوا عن موقف غير المؤمنين – قبل المسيح وبعده – الذين يرون في مجرد تتميم فرائض العقيدة غاية المُنى فيُداخلهم الاطمئنان والإحساس بالرضا عن النفس.

المشكلة أن هذا الأداء الآلي للفرائض كهدف في ذاته لا يستطيع أن يُغيِّر النفس إلى الأفضل، ولا التخلُّص من حياة الخطية، وحتى من خطايا بعينها (رو ١:٢٤؛ ٢٦-٣٣)؛ وإنما تسير الممارسات جنباً إلى جنب مع حياة الخطية (حتى وإن لم يعترف الشخص أنه خاطئ)، ويصبح التديُّن بهذه الصورة اعتذاراً يومياً عن الحياة الخاطئة المستمرة، والتي لا يمكن التخلُّص منها بالجهد البشري لأنها جزء أصيل من حياة الإنسان الطبيعي. ولا يمكن للذات أن تُحارب نفسها، ولكن الطبيعي أن تحمي نفسها. وهي ربما تتدين (بتتميم الفرائض شكلياً)، لأنها تحسب أنها بذلك تتفادى الدينونة.

والنتيجة أن هذا التديُّن الذاتي ينتهي لحساب الذات فتتضخم أكثر، وتشعر مع كل يوم أنها (على الأقل) أفضل من غيرها، وأنها بلا لوم، وأنها بأعمالها تستحق المصير الأفضل.

## التجسُّد والحياة الجديدة

يمكن الآن أن نسأل: ماذا صنع **التجسُّد** في هذا السلوك العبثي الذي لم يعرف الإنسان (غير المؤمن) سواه حتى جاء ابن الإنسان! ذلك أن بقاء الإنسان بنفس حالته (الخاطئة) مهما كان مستوى أعماله لن يُمتِّعه بالغفران ولن يُمكِّنه من أن يصير باراً، وسوف ينتهي به الأمر حتماً إلى الموت الأبدي **"وبدون إيمان لا يمكن إرضاء الله"** (عب ١١:٦).

التجسُّد عالج مشكلة انفصال الإنسان عن الله بالخطية، وإخفاقه بذاته في العودة إلى الله. **فبتجسُّد الابن أمكن للإنسان أن يصير ابناً لله بالتبنِّي** (غل ٤:٥). وحتى قبل أن يوجد آدم **كان المسيح هو النموذج للإنسان الجديد**، وهو الوسيلة لتحقيق

غرض الله "اختارنا **فيه** (أي المسيح) قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، **إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح** لنفسه حسب مسرَّة مشيئته... الذي **فيه لنا الفداء بدمه**... الذي **فيه أيضاً نلنا نصيباً، مُعيَّنين سابقاً... لنكون لمدح مجده**... الذي **فيه أيضاً أنتم، إذ سمعتم كلمة الحق، إنجيل خلاصكم**، الذي **فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتُم بروح الموعد القدوس**" (أف ١:٤-١٣)، لأن "**الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مُشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين**" (رو ٨:٢٩).

يُختصر تاريخ البشرية إذًا في إنسانين: **آدم** ، **والإنسان الإله يسوع المسيح** "**إنسان يقال له يسوع**"(يو٩: ١١) " **الإنسان يسوع المسيح**"(١تى٢: ٥).

"**الإنسان الأول من الأرض ترابى، الإنسان الثانى الرب من السماء.كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضاً. وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضاً**" (١كو١٥:٤٧و٤٨). **آدم** كان أبو البشر وبه كانت الخطية والموت للجميع **والمسيح** صار ابن البشر وبه كانت الحياة لكل من يؤمن (يو١: ٤).

"كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت **فبالأولى كثيرا نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين**" (رو٥: ١٢-١٥).

فالمسيح قام بدور مزدوج، فهو **من ناحية** تكفل بخلاص الإنسان عندما حمل خطايانا فى جسده وسمرها بالصليب، ودفع بدمه قيمة الدين اللانهائى الذى عجزت البشرية عن سداده، فصنع المصالحة ورفع العداوة ووهب الحياة، وهو **من ناحية أخرى** تولى بنفسه إعلان الإنسان الجديد فى صورته النقية الأصلية بدون الخطية، فهو أخذ الذى لنا (اللحم والدم والموت) وأعطانا الذى له (البر والحياة الأبدية)، ومن ثم صار الكل فيه " **إنسانًا واحدًا جديدًا** " (أف٢:١٥).

**فالمسيح كان هو الطريق والهدف، ولكنه كان أيضاً النموذج والمثال للإنسان.** فنسب نفسه للإنسان بمقدار ماهو واحد مع الله "**من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان**"(مت١٦: ١٣).

وبقدر ما كشف لنا المسيح عن طبيعة الله الذى **"لم يره أحد قط"** (يو١: ١٨)، بقدرما جسَّد خصائص الإنسان كما أراد الله له أن يكون: إنسان عدم الموت، إنسان حرية البر، إنسان صورة الله ومثاله.

فالمؤمن الذى يريد أن يستعيد صورة **"الإنسان"** لا يسعى فى فراغ، ولا يضيع حياته فى محاولات لا يضمن لها أن تصيب ولكنه يضع أمامه شخص المسيح المبارك الذى ترك لنا مثالا لكى نتبع خطواته"(١بط٢: ٢١).

وإذا كان هدف الحياة الروحية النهائى هو الاتحاد بالمسيح، فإن المؤمن وهو يتمثل بالمسيح (١كو١١: ١) متجها إليه، يأخذ فى التغير بالروح شيئا فشيئا بحسب هذا المثال الكامل حيث ينطبق عليه تمام الانطباق ويصير واحدا معه.

ورغم أن الصورة تظل ناقصة طالما أن الإنسان فى الجسد المحدود، إلا أنه يتمتع بعربون هذه الحياة الفريدة هنا ومن ثم تكتمل فى الأبدية، فينتقل حينذاك من **"مجد إلى مجد"** (٢كو٣: ١٨).

## المسيح يعلن صفات الإنسان الجديد

وكل متتبع لحياة الرب يسوع المباركة يتحقق كيف أنه دفع مقابل كل نقيصة من نقائص الإنسان وضعفاته الصفة الملائمة فى الإنسان الجديد. فالرب يسوع لم يكن مجرد صاحب رسالة أو زعيما يلقى على الناس مبادئ مهما كانت سامية، ولكنه ألزم نفسه بكل ما تكلم به **"كنموذج"** فطابقت أعماله أقواله، واستمدت تعاليمه قوتها من صدقها وتجسدها فى سلوكه ومعاملاته وشخصيته، ومن هنا كانت دعوته للناس أن **"تعلموا منى"** (مت١١: ٢٩):

**+ فمقابل الكبرياء التى أسقطت الإنسان فى العزلة وأفقدته مكانته عند الله "من يرتفع يتضع"** (يو١٤: ١١)، **نرى فى يسوع المسيح الاتضاع والإخلاء** متمثلا فى ظروف مولده البسيط وحياته المجهولة لسنوات عديدة وترفعه عن كل ألوان التمجيد، ومعاملاته الهادئة لمضطهديه، وخضوعه أمام صالبيه. ويسوع يوجهنا إلى أن راحة الإنسان فى نبذ الكبرياء وترك الكرامات والتحلى بالاتضاع مقدما لنا نفسه **"الوديع المتواضع القلب..."**

(مت١١: ٢٩):

.. فالذى نبهنا ألا نسعى للمكان الأول (لو١٤: ٨) هو الذى انسحب من الكرامة لما أرادوا أن يختطفوه ويجعلوه ملكًا (يو٦: ١٥)؛

.. والذى أوصانا ألا ندعُ الأغنياء فى محافلنا بل المساكين (لو١٤: ١٢-١٣) هو الذى كان رفيق الفقراء والبسطاء؛

.. والذى طلب منا أن نخدم بعضنا بعضا هو الذى قام عن العشاء وانحنى إلى الأرض ليغسل أرجل تلاميذه (يو١٣: ٥).

**+ ومقابل عصيان آدم الأول** واتّباعه أهواء نفسه ونزوعه للاستقلال عن إرادة الله؛ **كانت طاعة آدم الثانى** الذى **"سيق كشاة إلى الذبح فلم يفتح فاه"** (إش٥٣: ٧) **متخليا عن إرادته** (لو٢٠: ١٤) **وطائعا حتى الموت موت الصليب** (فى٢: ٨). وبينما أدى العصيان للهلاك كانت الطاعة هى وسيلة النجاة **"لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعِل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجْعَل الكثيرون أبراراً"**(رو٥: ١٩).

**+ ومقابل انحصار الإنسان فى الكراهية والبغضة وغلاظة القلب وميله للعداوة وعدم التسامح؛ نرى المحبة الآسرة التى شملت القريب والبعيد، الصديق والعدو، ونرى الرقة والعطف والتسامح للظالمين حتى وهو يتلقى الضربات ويسمَّر جسده إلى الصليب** (لو٢٣: ٣٤).

**+ ومقابل ضعف الإنسان وخضوعه تحت سلطان إبليس؛ نرى القوة والتحرر وشجاعة المواجهة أمام الشيطان "إذهب يا شيطان. للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"**(لو٤: ٨):

فالمسيح يقرأ فى المجمع نبوة إشعياء معلناً أنه جاء ليهب الإنسان حريته المسلوبة **"روح الرب علىَّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب، لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر .. وأرسل المنسحقين فى الحرية"**، ثم يقدم نفسه كمحرر للإنسان إذ بعد أن يطوى السفر يقول لسامعيه **"اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم"** (لو٤: ١٨-٢١).

**+ ومقابل التهالك على مجد هذا العالم وأمواله، عاش المسيح متجردًا "فلم يكن له**

**أين يسند رأسه"** (مت٨: ١٠):

.. **والذى قال لتلاميذه ألا يحملوا كيسا ولا مزودا** (لو١٠: ٤) **لم يكن يملك درهمين يدفعهما كجباية** (مت١٧: ٢٧)، **والذى أوصانا ألا نكتر كنوزا على الأرض** (مت٦: ١٩) **مضى إلى السماء دون أن يخلف وراءه إرثا وهو الذى يملك كل شئ.**

## كي نكون مثله

على أن الله لم يتركنا لأنفسنا نسعى بجهدنا الذاتى لإصلاح حالنا ناظرين إلى مثال الإنسان الكامل الرب يسوع لنحاول أن نكون مثله، فهذه المحاولة محكوم عليها بالفشل. حسنا أننا نرى النموذج الذى يجب أن نتمثله **ولكن من أين نحصل على قوة التغيير هذه التى تجتاح كيان الإنسان كله لتضعه على طريق الاتحاد بالمسيح؟**

هكذا دبر الله **ولادتنا الجديدة** من فوق بالماء والروح والمكفولة بدم الصليب (يو ٣:٥و٧، رو ٦:٤)، **وبالإيمان** نقتني الطبيعة الجديدة المنحازة للقداسة، **وبمسحة الميرون** تتقدَّس الأعضاء وتنتسب إلى المسيح (١كو ٦:١٥)، ويصير الجسد هيكلاً للروح القدس (١كو ٦:١٩) والنفس عذراء عفيفة للمسيح (٢كو ١١:٢).

**وبالتوبة** المستندة إلى عمل الابن وموته وقيامته ننال الغفران، **وبالجسد والدم** نثبت في المسيح، ويصبح تغيير الإنسان عمل كل يوم حيث يحل الرب محل كل ركن ضعيف في الكيان كما يدفع نور الفجر فلول الظلام. **ولكن هذا لن يكون عملنا، وإنما عمل الروح القدس فينا: "لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها"** (أف ٢:١٠). ومن هنا فلا نستطيع أن ننسب أعمالنا إلينا أو أن نفتخر بها أو نرضى بها عن أنفسنا، بل فقط نفرح أن الروح يرتاح فينا، وأن الله يستخدمنا لمجده. **وسيظل المؤمن يسعى على الأرض إلى كمال القداسة** (مت ٥:٤٨). **ولكن هذا سيكمل في الأبدية عندما "يُضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم"** (مت ١٣:٤٣).

## إنسان العهد الجديد

إن ما تمتَّع به **إنسان العهد الجديد** بتجسُّد المسيح من امتيازات يفوق بما لا يُقاس

ما أُتيح للإنسان قبل تجسُّد ابن الله، حتى أن الرب غَبَط تلاميذه على النعمة التي نالوها قائلاً: **"طوبى لعيونكم لأنها تُبصر، ولآذانكم لأنها تسمع. فإني الحق أقول لكم إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يَرَوْا ما أنتم تَرَوْن ولم يَرَوْا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا"** (مت ١٣:١٦و١٧). وبينما مات آباء العهد القديم أجمعون "وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدَّقوها وحَيَّوْها" (عب ١١:١٣)، فنحن- أبناء العهد الجديد- **"إذ سبق الله فنظر لنا شيئًا أفضل"** (عب١١:٣٩) عاينَّا تحقيق الموعد وتمتَّعنا بآثاره:

+ **إنسان العهد القديم** كان يحكمه الخوف فى علاقته مع الله، وكان تحت لعنة الناموس (غل٣: ١٠)، وكان مستعبدا تحت أركان العالم (غل ٤: ٣)؛ **أما الآن** فالمحبة طرحت الخوف (١يو٤: ١٨)، وبالمسيح صار لنا جراءة وقدوم (أف٣: ١٢) وهو قد **"افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة"** (غل٣: ١٣)، والإنسان لم يعد عبدا بل **ابنا ووارثا لله بالمسيح** (غل ٤: ٧).

+ **فى القديم كانت معرفة الله قاصرة على شعب بعينه** أفرزه وعزله الله عن كل شعوب الأرض الغريبة، ومنه جاء المسيح بالجسد، **ولكن بالمسيح فتح الله أحضانه لكل البشر، وصار لكل واحد فيه نصيب. فالمسيح هو للعالم كله** (غل٣: ٢٨، يو٤: ٤٢).

+ وكيف ننسى أن المسيح أزاح من الطريق أخطر أعداء الإنسان وهو **الموت** فعتق **"أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية"**(عب٢: ١٥)، فجاز فى الموت ولكنه لم يُمسَك منه بل قهره بقيامته التى وهبها للإنسان.

+ وكيف ننسى قوة الحياة الجديدة المذخرة لإنسان العهد الجديد **بالمعمودية الوالدة والميرون المقدس**، ومعهما يعطى الروح غلبة الخطية وقهر سلطان إبليس **"لأن كل من ولد من الله يغلب العالم. وهذه هى الغلبة التى تغلب العالم إيماننا"**(١يو٥: ٤).

+ وكيف ننسى عطية **الجسد والدم** وبهما يتخلل المسيح نفسه كياننا وتتلاشى المسافات بيننا وبينه ونصير واحدا معه.

+ وكيف ننسى **شفيع حياتنا الدائم** الذى صعد وفى جسده آثار الصليب علامة محبة

أبدية والتزام بالإنسان لا ينقطع مهما كان نقص أمانته. فيده ممدودة دوما تجبر الكسور وتضمد الجراح وتهب الرجاء وتغفر الخطايا مهما تعاظمت.

+ وكيف ننسى **سحابة الشهود** التى تصلى عنا فتشد من أزرنا وتثير فينا روح الجهاد والمقاومة وتشعل فى قلبنا حنينا لا ينقطع للأبدية.

## شهود في كل جيل

هذا هو نصيبنا أن نكون **أبناء عهد جديد** وأن توهب لنا بالمسيح حياة هذا عرضها وطولها وعمقها وعلوها فماذا نلنا منها؟

الذين ارتشفوا فى القديم قطرات قليلة من هذه الحياة بحسب ما أتيح لهم تلك الأيام شهدوا لإلههم قدرما استطاعوا: فشهد **نوح** بإيمانه ومثابرته عشرات السنين فى بناء الفلك غير عابئ باستهزاء الأشرار الذين ابتلعتهم مياه الطوفان. وشهد **ابراهيم** بمحبته وطاعته لله وسط شعوب كثيرة عاشت غارقة فى ظلام الخطية والجهل، وشهد **يوسف** بطهارته وهو غريب فى بيت فوطيفار وارتضى الفضيحة والسجن على أن يفقد نصيبه فى الله، وشهد **موسى** بإيثاره المذلة والعار وسط شعب الله على التمتع الوقتى بالحياة الرغدة وخزائن المال فى قصر ابنة فرعون، وشهد **داود** بثقته فى قوة رب الجنود عندما تجاسر على منازلة جليات الجبار وسحقه بذراع الرب الرفيعة، وشهد **أليشع** بترفعه عن محبة المال فقدم مثالا على تجرد رجل الله الذى لا يعوزه شئ، مقابل دناءة جيحزى وسعيه المخجل وراء نعمان الذى شفاه أليشع من البرص، وشهد **الفتية الثلاثة** بولائهم لله وليس للناس حتى ولو كانوا ملوكا فرفضوا التنجس بأطايب الملك ولو قادهم موقفهم إلى أتون النار، وشهد **دانيال** بإعلان عبادته لله رغم الأوامر المشددة بعبادة التمثال و لم يحاول أن يتخفى أو يجامل الملك وهو مستشاره، ورضى بأن يلقى للأسود ولا أن ينكر إلهه الذى يعبده..

وشهد كثيرون غيرهم .. لم تُذكر أسماؤهم ولكنهم معروفون عند إلههم حتى كتب عنهم أن العالم لم يكن مستحقا لهم (عب١١: ٣٨).

وفى **العهد الجديد** شهد آلاف .. مئات الآلاف من الرجال والنساء والشباب

والأطفال، بأن قدموا كل حياتهم فى لحظة على مذبح الاستشهاد فكتبوا اسم المسيح لكل العالم بالدم. وعلى مدى القرون لم يخلُ زمان ولا مكان من نفوس أمينة تستشعر مسئوليتها تجاه العالم الموضوع فى الشرير، فتنفصل عنه من ناحية، وتدين انحرافه من ناحية، وتسعى لإنقاذه من ناحية ثالثة.

علي الجانب المقابل، ففي عالم اليوم ملايين لم يؤمنوا بعد بالمسيح ويعتقدون أنهم بأداء فرائضهم ينالون الغفران ويرثون السعادة الأبدية. **أما الذين دُعِيَ عليهم اسم المسيح، فهو وحده رجاؤهم الأبدي، وهو صانع خلاصهم وسلامهم؛ وهم لا يتفادون مواجهته وتسليم حياتهم له محتمين في الممارسات الآلية** كما يفعل المؤمنون الشكليون الممسكون بالعصا من منتصفها، الذين علاقتهم بالعالم وانصياعهم لمبادئه تسير بلا عائق، إذ يتهرَّبون من التوبة والتوجُّه الحقيقي نحو المسيح المخلِّص بالتديُّن المصطنع لمقاومة الروح المُبكِّت، وهم في هذا لا يختلفون عن الذين لا يؤمنون بالمسيح بصورة صريحة ويؤمنون أن خلاصهم مكفولٌ بأعمال برِّهم وفي قرارة نفوسهم إحساس بالرضا وبأفضليتهم عن غيرهم.

✙ ✙ ✙

شكراً لله المُحِب، **أن المسيح جاء وخلَّصنا وأنعم علينا ببنوَّة الله، فليس فينا برٌّ شخصي وإنما هو بر المسيح. كما أن أعمال إيماننا هي أعمال الروح القدس فينا، ونموّنا إلى الأفضل يتم بثبات المسيح فينا وثبوتنا نحن فيه، ودخول الملكوت الأبدي ليس باستحقاقنا وإنما هو هبة الله الغنية لكل مَن يؤمن.**

**وإذا كانت نعمة الله قد شملتنا، فانتسبنا إلى المسيح دون فضل منا، فعلينا ألاَّ نتعالى على غيرنا، وأن نحب الجميع كإخوة لنا ضمن خليقة الله، مُصلِّين بكل طلبة أن تتحقق إرادة الله "... أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون"** (١تي ٢:٤).

# تجديد الحياة

التطلع إلى الجديد والسعى نحو الأفضل من سمات البشر. ولأن أشـياءنا تبلـى، وحتى علاقاتنا يصيبها الوهن مع الزمن، لذا فهذه كلها تحتاج أن نفحـصها دوريـاً لنعرف ما طرأ عليها ثم نعالجها لتصير فى حال أفضل، وربما استبعدنا جوانب منـها واستبدلنا بها الجديد الذى يطيل أمدها ويضفى عليها البهاء. فنحن نجـدد مـساكننا لتبدو فى هيئة أحسن، ونستبعد القديم والبالى من ملابسنا ونشترى ثياباً جديدة. ونحن نراجع علاقاتنا مع شركاء الحياة والأقارب والأصدقاء ورفاق العمل والخدمة ونسعى لرأب ما تصدع منها بالغفران والتسامح، ونذكر محبتنا الأولى، ونجتهد ألا تـستغرقنا دوامات الحياة وتنسينا رفاق الطريق فنلتفت من جديد لنـدفع بالـدماء إلى هـذه العلاقات فنحييها ونجددها.

**أكثر أهمية من كل ذلك، أن حياتنا نحن تحتاج إلى تجديد دورى. وبداية عام جديد فرصة مناسبة تماماً لهذا الأمر الحيوى.**

❋ ❋ ❋

+ ومنذ سقوط الإنسان واشتياق قلبه أن يجدد الله خلقته "قلباً نقياً **اخلق** فىَّ يـا الله وروحاً مستقيماً **جّدد** فى داخلى" (مز٥٠: ١٠). والله من جانبه يعد بتجديده روحاً وقلباً وأن يجعل منه إنساناً جديدا لائقاً بملكوت السموات "وأعطيكم **قلباً جديداً** وأجعـل

**روحاً جديـــدة** فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحـــــم" (حز١١: ١٩، ٣٦: ٢٦).

+ وكان تجسد الابن هو الوسيلة والنموذج. فهذا هو ابن الإنسان، آدم الثانى، الذى به وفيه تتجدد خليقة الله، ويأتى الإنسان الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه (شخص يسوع المسيح) (كو٣: ١٠).

+ وفى حديث الرب مع نيقوديموس يشير إلى أن الإنسان لكى يعود من جديد إلى ملكوت الله لابد له **أن يولد من جديد** (يو٣ :٥)، وهذه الولادة يعملـــها الـــروح القدس فى المعمودية عندما تجوز النفس موتاً مع المسيح وتقـــوم معه فى **جدة الحيـــاة** (رو ٦ :٣ - ١٤)، المغتسلة من الخطايا (أع ٢٢ : ١٦)، والتى تبررت وتقدست باسم الرب يسوع والروح القدس (١كو٦ :١١)، وفيها نلبس المسيح "لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح **قد لبستم المسيح**" (غل ٣: ٢٧).

+ ويشير الرب إلى تحقيق الوعد القديم: "هوذا أيام تأتى يقول الرب حين أكمل مع بيت إســـرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً** لا كالعهد الذى عملته مع آبـــائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجـــهم من أرض مصر لأنهـــم لم يثبتـــوا فى عهـــــدى" (إر٣١:٣١، عب٨: ٨)، عندما قدّم إلى تلاميذه ليلة آلامه دمه قائلاً "هذا هو دمـــى **الذى للعهد الجديد** (**العهد الجديد بدمى**)" (مت٢٦ :٢٨، مـــر١٤: ٢٤، لـــو٢٢ :٢٠). أى أن **العهد الجديد** بين الله والناس قد كلّفه دم ابنه "**وسيط العهد الجديد**" (عب٩ :١٥، ١٢: ٢٤)، فليس هو عهد كلام وإنما عهد قد خُتِمَ بالدم النازف حتى الموت.

+ والرب يصف حياتنا الأبدية **بالتجديـــد** "أنـــتم الـــذين تبعتمـــونى: فى **التجديد** Regeneration، متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده، تجلسون أنـــتم أيضاً تدينون أسباط إسرائيل" (مت١٩: ٢٨).

+ ويصفها يوحنا الرائى **بأورشليم الجديدة، والسماء الجديدة والأرض الجديدة** (رؤ٢١: ١)، **حيث يصنع الله كل شئ جديداً** (رؤ٢١: ٥)؛

+ وينتظر معلمنا بطرس مع كل المؤمنين بحسب وعد الله "**سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر**" (٢بط ٣ :١٣) ؛

+ ومعلمنا **بولس** يدعونا أن نسلك فى **جدة الحياة** (رو٦: ٤) وأن **يتجدد الداخل** يوماً فيوماً (٢كو٤: ١٦)؛ **ويطالبنا أن نتجدد بروح ذهننا ونلبس "الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق"** (أف٤: ٢٣،٢٤)، فتحولنّا إلى المسيح يغيرنا من الجذور "إن كان أحد فى المسيح فهو **خليقة جديدة**.. الأشياء العتيقة قد مضت **هوذا الكل قد صار جديداً**" (٢كو٥: ١٧).

❋ ❋ ❋

ونحن هنا نعرض لبعض جوانب تجديد الحياة فى المسيح يسوع :

## (١) تجديد الإيمان

إن إيماننا بالمسيح يعنى أن حياتنا مرتبطة بشكل مباشر بشخص المسيح فى المقام الأول، وليس بمن أو بما حوله؛ ليس بأمور تتعلق بالعبادة قد تتم بصورة آلية أو شكلية، كمجرد الذهاب إلى الكنيسة كعادة أو ساعة الحاجة، أو الصلاة بالشفاه، أو الصوم كمجرد تغيير نوع الطعام، أو حتى الاعتراف وإنما دون توبة، وغيرها وغيرها.

فهذه الممارسات يمكن أن تتم مستقلة تماماً عن الإيمان بالمسيح (أو ربما بديلاً عن الإيمان بالمسيح). فكثيرون من المدعوين مسيحيين قد يغفلون عن المسيح السائر بجوارهم (كما حدث مع تلميذى عمواس)، ولا يفكرون فيه ولا يتعاملون معه أو يحادثونه (حتى ولو كانوا يصلّون!). هم يتخلصون من تبعية المسيح ونفقتها العالية بألوان آلية من التدين تعطيهم راحة كاذبة أنهم أدّوا واجبهم.

الإيمان الحقيقى يجعلنى **ابناً لله** (يو١: ١٢) **ووارثاً بالمسيح ومعه** (رو٨: ١٧، عب٦: ١٧، ١١: ٩) **للملكوت الأبدى** المعُد لنا منذ تأسيس العالم (مت ١٩: ٢٩، ٢٥: ٣٤، اكو٦: ٩، غل٥: ٢١). لقد رفع المسيح الدَيْن عنى وخلصنى من موت الخطية. وإن عدم يقينى من جهة خلاصى وترك الأمر للحظ

والنصيب ولما ستسفر عنه النتائج فى اليوم الأخير هو إنكار لعمل الصليب والقيامة من جهة، وطعن فى حقيقة إيمانى كمسيحى من جهة ثانية. ومصدر هذا المفهوم الخاطئ هو الجهل وغياب التوعية الروحية. فالشخص الذى يجهل حقيقة نسبه، وبالتالى يجهل أنه قد صار وارثاً، لن يدافع عن حقه فى الميراث وسيعيش فقيراً ويموت دون أن يناله. **أما المؤمنون الحقيقيون، الذين يتمتعون بالخلاص الثمين وبنوتهم لله، فإنهم يدركون حقيقة الميراث الذى آل إليهم والمحفوظ لهم فى السموات** (ابط١: ٤)، **ويعيشون فى مخافة الله كل أيام الحياة مجاهدين ضد الخطية** (عب١٢: ٤)، **متممين خلاصهم بخوف ورعدة** (فى٢: ١٢)، **مترجّين يوم اللقاء وحضورهم عشاء عرس الخروف** (رؤ١٩: ٧) **عند إعلان الخلاص الأخير** (فى ٣: ٢٠، ١بط ١: ٥).

ومن هنا فنحن نحتاج أن نتيقن على الدوام بوثوق علاقتنا بشخص المسيح كمخلص وحيد لحياتنا (أع٤ : ١٢)، وباستمرار هذه العلاقة ونموها، وأنه محور كل أنشطتنا الروحية والجسدية والعملية. **فالحياة المسيحية هى فى المسيح وغايتها سكنى المسيح فينا "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ. فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان، إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى"** (غل ٢: ٢٠)، **"ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم"** (أف٣ :١٧).

والقديس بولس ينبهنا أن نمتحن أنفسنا من جهة الإيمان بالمسيح واختبار الخلاص **"جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان. امتحنوا أنفسكم"** (٢كو١٣: ٥). وعلينا أن نستجيب لهذه الدعوة **فتجديد إيماننا** هو حجر الزاوية فى كل بنياننا الروحى، وهو الكفيل بسكب القوة فى كل جوانب عبادتنا وحفظها من التحول إلى ممارسات شكلية أو فرائض تتم غيابياً. وكلما تقدمت بنا الأيام وواظبنا على امتحان أنفسنا من جهة الإيمان لاكتشاف جوانب الضعف وانتزاعها، كلما زاد إيماننا قوة وحياتنا نضارة. ووعد الرب صادق لا يكذب "يعطى المُعيى قدرة ولعديم القوة يكثر شدّة.. الفتيان يتعثرون تعثراً **أما منتظرو الرب فيجدّدون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيوْن"** (إش٤٠: ٢٩- ٣١).

وعلى كل قابل للعهد الجديد أن يدرك هذا جيداً: أن الحياة الجديدة التى أتيحت له فى المسيح يسوع تمر من **الباب الضيق**، وتتطلب **حمل الصليب** (مت١٦: ٢٤) وتتبّعه كل الطريق الكرب الذى يمر بجثسيمانى والجلجثة (وأيضاً بمجد القيامة)، وهو المؤدى فى النهاية إلى **الحياة الأبدية** (مت٧: ١٤).

## (٢) تجديد التوبة

**ستظل التوبة هى عملنا الأساسى اليومى** ونحن نمارس حياة القداسة كمؤمنين حقيقيين، اختبروا المسيح مخلصاً، وصار الإيمان عندهم حياة بأكملها، وفهموا التوبة بمعناها الشامل أى **تغيير الفكر والاتجاه الذى يُعبّر عنه "بالميتانيا" كتجديد لفعل المعمودية، وأنها ليست كفًّا عن خطية هنا أو خطية هناك حسب ما تعى الذاكرة أمام أب الاعتراف، وإنما هى التحول من "حالة" الخطية إلى "حياة" القداسة.** فأى إيمان هذا الذى يفرز حياة مزدوجة متعثرة يراها البعض أقصى المنال. نعم. لن تستحق اسم التوبة عمليات الترقيع الخارجية أو الإصلاحات الجزئية، التى تُجرى كلما دعت الحاجة أو حاقت بالإنسان نازلة، والتى سوف تستمر دون أن ينصلح حال الثوب وإنما ستتسع فيه الخروق (مت٩: ١٦، مر ٢: ٢١، لو٥: ٣٦)، وتتزلق الحياة إلى الزيف والرياء.

**التوبة الشاملة تعنى استبعاد الثوب الممزق وارتداء الجديد** (الحلة الأولى فى مثل الابن الضال- لو١٥: ٢٢)، **أى الحياة الجديدة بعمل الروح القدس، أو الرب يسوع نفسه الذى لبسناه فى المعمودية** (غل٣: ٢٧). وهى لا تحتمل إخفاء الخطية أو استبقاءها، ولا تقبل خدمة السيدين الفاشلة (مت٦: ٢٤). **فالبر لا يمكن أن يختلط بالإثم كما أن النور لا يمتزج بالظلمة** (٢كو٦: ١٤-١٨). والرب يقول عن المؤمن إن **"له حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة"** (يو٥: ٢٤).

**ومعلمنا بولس** يقول للمؤمنين **"كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور فى الرب. اسلكوا كأولاد نور"** (أف٥: ٨). فلابد إذن أن يكون اختلاف المؤمن عن غير

المؤمن حاداً، ساطعاً، وشاملاً. **وهذه الحياة المقدسة يضمنها الروح القدس الساكن فينا**(اكو٦:١٦:٣،١٩-٢٠) بطاعة المؤمن، كما أن إثارة التوبة هى أيضاً عمل الروح القدس "**توبنى فأتوب لأنك أنت الرب إلهى**" (إر٣١: ١٨).

بالطبع فإن إبليس عدونا لنا بالمرصاد، ويصفه معلمنا بطرس **كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه** (١بط ٥: ٨). ولكن مع مداومة التوبة تنتهى حالة الاستسلام الأولى وينمو فى القلب اتجاه إلى مقاومة إبليس ورفض الخطية "**فقاوموه راسخين فى الإيمان**"(١بط٥: ٩)، "**قاوموا إبليس فيهرب منكم**" (يع٤: ٧)، "**لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية**" (عب١٢: ٤)، مع ثقة فى النصرة "**فإن الخطية لن تسودكم**" (رو٦ :١٤). ربما لا تأتى النصرة إلا بعد فترة من الصراع مع عدو الخير "**فإن مصارعتنا** ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين.. مع أجناد الشر الروحية فى السماويات" (أف٦: ١٢)، ولكن بمساندة النعمة واستخدام سلاح الله الكامل (وضمنه درع البر وترس الإيمان وخوذة الخلاص وسيف الروح - الذى هو كلمة الله - أف٦ :١٣-١٧) ينتهى الصراع بغلبة المؤمن وتتوقف المعارك الكبيرة ولا يبقى إلا المناوشات الصغيرة، التى حتى ولو بالضعف أو السهو تراجعت فيها الإرادة، فإن الخروج منها وعدم الخضوع للشر هو الذى يسود. فمن ذاق حلاوة الانتصار - حتى ولو غفل أحياناً (وهو ما يسمح به الله لرذل الثقة بالذات ودوام الاتضاع وحصر الاتكال فى الله) - قادرٌ بمؤازرة النعمة على المقاومة حتى الغلبة. وكما أن صحيح الجسم تنتابه الأمراض أحياناً فيتحملها ثم تمضى دون أن تترك أثراً، ويظل مختلفاً عن الأشلّ أو فاقد الحواس، كذلك فإن خطية المؤمن هى الاستثناء وقداسته هى القاعدة التى تأبى أن تبقى النفس فى الخطية الطارئة، ويتم التغيير والتصحيح بالتوبة، ويمتد نموه الروحى إلى آفاق أرحب (وخطيته إذن **ليست للموت** - ١يو٥: ١٦،١٧)، أما غير المؤمن فخطيئته هى الأمر الطبيعى (وهذه الخطية **هى للموت** - ١يو٥: ١٦).

وعندما نستمع إلى قول المسيح عن عثرة اليد أو الرجل أو العين منبهاً إلى قطعها أو قلعها - إن اعثرتنا - لإنقاذ الحياة (مت ٥: ٢٩،٣٠، ١٨: ٨-٩،

مر٩: ٤٣-٤٨) ندرك أن الأمر جدّ خطير. فإذا كان الجرّاح يضطر أحياناً إلى بتر الساق التالفة لإنقاذ الجسد كله، **فقد يتعين علينا أن نقتلع الخطية المحبوبة المودعة فى أحد كهوف القلب السنين الطوال، وسيحتاج الأمر عندها إلى كل شجاعتنا ووعينا وتسليمنا للإقدام على هذه الخطوة الصعبة التى تساوى قلع العين[1] أو قطع اليد[2] أو الرجل من أجل إنقاذ حياتنا. وسيتولى طبيبنا الشافى، الذى جاء يدعونا إلى التوبة** (مت٩: ١٣، مر٢: ١٧، لو٥: ٣٢)، **إجراء هذه الجراحة الأليمة لأننا نحن لا نستطيع** . وإن شركة المسيح لتستحق قبول هذه الجراحة الروحية، كما تبررها الحياة الأبدية التى إليها دعينا، هدف الحياة الثمين الذى نمسك به (١تى ٦ :١٢، ١٩).

## (٣) تجديد نواحى العبادة

عندما يمضى الوقت فتتحول العبادة إلى مجموعة من الفرائض يمكن أداؤها ببعض الجهد، دون مشاركة الإيمان الحى وعمل الروح القدس، لا تصير عندها موجهة فى الحقيقة إلى الله بل إلى إرضاء الذات. وتكون النتيجة تضخماً للذات وبرها، وتحولها إلى إله بديل. ومن هنا فلابد من مراجعة جوانب عبادتنا وتجريدها من الآلية والذاتية لتكونَ نابعة من إيمان حى بالمسيح مخلصنا، والتشفع بالروح القدس كى يعمل فينا فتظهر أعمالنا أنها بالله معمولة (يو٣: ٢١) ومن ثم تصير مقبولة أمام العرش الإلهى:

### (أ) نمو المعرفة بكلمة الله

---

(١) يقال إن سمعان الخراز بطل معجزة نقل جبل المقطم قد نفذَ هذه الوصية حرفياً بأن قلع إحدى عينيه عندما أدرك أنها تجاوزت حاجز العفة.

(٢) فى هذا المجال لازلنا نذكر منذ سنوات حادثة ذلك الصياد من مالاوى الأفريقية الذى أطبق تمساح ضخم فكيه على ذراعه وبدأ فى سحبه إلى البحيرة. فما كان منه إلا أن أهوى بسكين على ذراعه الأسيرة فقطعها تاركاً إياها فى فم التمساح ونجا هو بحياته.. وقبل سنوات (صيف ٢٠٠٣) عرضت شاشات التليفزيون الأمريكى حواراً مع أحد متسلقى الجبال فى الولايات المتحدة الذى انهارت عليه كتلة صخرية كبيرة انحشرت يده تحتها، وظل أسيراً يتهدده الموت لثلاثة أيام، حتى دفعه حبه للحياة، التى رآها تتسرب أمام عينيه، أن يستجمع كل شجاعته ويعمد إلى كسر عظام رسغه مستخدماً يده الطليقة فى ثنى يده المحاصرة إلى حدها الأقصى، ثم احتمل ألم بترها تماماً بسكين صغيرة. واستطاع بعدها أن يتحرر.. وظهر على الشاشة بيده الصناعية مبتهجاً أنه وأن كان قد فقد إحدى يديه لكنه نجا من موت محقق.

وفى الحالتين كان ما اقدم عليه بطلانا هو الاختيار الدامى والصحيح فى لحظات المصير.

كلمة الله للمؤمن هى نبع الحياة والنـــور "**الكلام الذى أكلمكم به هـــو روح وحيـــاة**" (يو٦: ٦٣)، "**سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى**" (مـــز١١٨: ١٠٥، ٢بط١: ١٩)، والإرشاد، والكشف الداخلى "**خارقة إلى مفرق الـــنفس والـــروح**" (عب٤: ١٢). وإذا كان القديس بولس يوصينا "**لتسكن فيكم كلمـــة الله بغنًـــى**" (كو٣: ٦) فهذا يعنى أن **تستقر** الكلمة دوماً فى القلب والعقل **وبغنًى**. وهذا لن يتأتى إلا بمداومة عادة قراءة ودراسة وفهم الكتاب كل الحياة. ولأن كثيراً ما تطغى المشاغل والاهتمامات على عادة قراءة الكلمة، فيصير محتِما أن نجدّد وننشِط قراءتنا للكلمـــة لأنها ضمان استمرار معرفتنا لشخص المسيح رفيق الحياة الآن وإلى الأبد.

ولابد أن نشير هنا إلى ضآلة معرفتنا على مستوى الشعب، وأيضاً العديـــد مـــن الخدام، بكلمة الله، وهى علاقة لا تسر إلا عدو كل خير وتتطلب جهداً على مستوى الكنيسة واجتماعاتها (وتخصيص اجتماع مستقل فى كل كنيسة لدراسة الكتـــاب)، لإثارة المعرفة بكلمة الله ودراستها وحفظها لأنها الكفيلة بتنمية الإيمان والحثّ علـــى الصلاة وإثارة التوبة وتقديس الفكر وكل الحياة، وهى مصدر الفرح وكـــل تعزيـــة، وهى سلاح المبشر والخادم وكل عامل فى حقل الكرازة.

## (ب) الاتجاه من الحرف والشكل والآلية إلى الروح

قد تبدأ عبادتنا : صلواتنا وأصوامنا، حارة روحية تقدس الفكر والقلب وترفـــع الأشواق إلى السماويات، خاصة إذا صاحبتها توبة حقيقية مستمرة؛ ولكن إذ تمـــضى الأيام يمكن أن تنسحب العبادة من دائرة الروح المحيى إلى الحـــرف الـــذى يقتـــل (٢كو٣: ٦)، وتتميم الفرائض بصورة شكلية. والآن تأتى الفرصة للتوقف عند هـــذا الأداء الآلى كهدف فى حد ذاته، ولتكون العبادة واسطة للاتحاد بالله وشركة الـــروح القدس "**نعبد بجدة الروح** لا بعتق الحرف" (رو٧: ٦)، "**تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم**" (رو١٢: ٢).

الذين لا يصلّون ولا يصومون لا مشكلة عندهم، أما الذين ارتبطـــت حيـــاتهم بالصلاة والصوم فلابد لهم من امتحان عبادتهم لإنقاذها من سلطان العادة والـــدوران

فى نفس المكان. **فالصلاة** يتهددها أن تتحول إلى تلاوات محفوظة من الشفاه بغير روح (مت١٥: ٨، مر٧: ٦)، **والصوم** يتهدده أن يتحول إلى مجرد تغيير ألوان الطعام بدل أن يكون بذلاً للجسد من أجل انتعاش الروح ترافقه الصلوات واللهج فى الكلمة وممارسة التوبة المتواترة والتناول من الأسرار. وبغير ذلك يكون الصوم جهداً جسدياً بلا طائل.

### (ج) سخاء العطاء

يبدأ الناس عطاءهم ربما بأقل من العشور، ثم عندما يصلون إلى العشور يعتبرون أنهم قد تمموا ما عليهم، ولكن عطية الله تتجاوز الحسابات "ليس أحد ترك.. إلا ويأخذ **مائة ضعف**" (مت١٩: ٢٩، مر١٠: ٣٠). وعلينا أن نتعلم من الله ونثق أن "**من يزرع بالشح فبالشح أيضاً يحصد ومن يزرع بالبركات فالبركات أيضاً يحصد**" (٢كو٩: ٦). فالعطاء الكثير (إلى حد المغامرة) إعلان عن نمو محبتنا لله وتصاغر تعلقنا بالأشياء والمال، مقابل تصاعد قيمة الحياة الأبدية فى عيوننا. هناك وعد صريح من الرب أن "**أعطوا تعطوا**" (لو٦: ٣٨)، وبقدر حبنا ووفرة عطائنا سيكون عطاء الله وبركته أضعافاً.

### (د) الخروج من الذات إلى خدمة الآخرين

قد يعفى البعض نفسه من الخدمة ويقصرها على الآباء والخدام. ولكن الخدمة هى عمل كل مؤمن : "**اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك**" (مر٥: ١٩)، "**تحب قريبك كنفسك**" (مت٢٢: ٣٩). وجعل الله لها دوراً فى اليوم الأخير "**تعالوا إلىَّ يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم.** لأنى جعت فأطعمتمونى .. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك.. فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم **بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم**" (مت ٢٥: ٣٤- ٤٦). فمن يحب المسيح سيخدمه فى شخص هؤلاء حتى ولو كانوا غير مؤمنين، وقد ينسى هو خدمته التى أدّاها ولكن الله العادل الذى لا ينسى تعب المحبة (عب٦: ١٠) سيذكرها ويعلنها فى اليوم الأخير.

❖ ❖ ❖

هذه فرصة لنا لتجديد الحياة .. وليردد كل منا مع المغبوط بولس "أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت. ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع" (فى٣: ١٢-١٤).

# نحن والصليب

+ نحن والصليب والخلاص

# نحن والصليب والخلاص

للمتأمل في كلمة الله تبدو خطة الله للخلاص ضاربة في أعماق الزمن، وممتدة إلى آفاق لا يُدرَك مداها.

وها هو معلِّمنا القديس بولس في مقدمة رسالته إلى أهل أفسس يشير إلى البُعْد الأزلي لهذه الحقيقة: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، **كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم**، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، **إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرة مشيئته**" (أف ١:٣-٥). كما يشير معلِّمنا القديس بطرس إلى بُعْدها الأبدي: "أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان **لخلاص مُستَعَدٍّ أن يُعلن في الزمان الأخير**" (١بط ١:٥).

وعلى امتداد الزمن كانت خطة الخلاص حلقات متصلة، كل منها تؤدِّي إلى الأخرى. فالوعد الإلهي بالخلاص تُرجم خلال الأجيال بالرعاية والتأديب والرمز والوصية؛ بل والتوجيه المباشر من خلال الآباء الأُول، ثم بإرسال الأنبياء، حتى جاء ملء الزمان لإخلاء الابن (في ٢:٧)، وتجسُّده (١تي ٣:١٦)، فميلاده من العذراء

(لو ٢:١١، غل ٤:٤و٥)، فإعلان العهد الجديد (عب ٩:١٥؛ ١٢:١٤، والتبشير بإقبال ملكوت الله (مت ١٢:٢٨)، فاجتياز دروب الآلام والأحزان الساحقة وضمنها معاناة جثسيماني وخيانات مَنْ أحبهم، إلى ألوان التعيير والاستهزاء والإهانة والضرب واللطم: "لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن **يُكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام**" (عب ٢:١٠)، حتى الخطوات الحاسمة من الفداء، من الارتفاع على الصليب وقبول الموت: "إذ محا الصكَّ الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضداً لنا، وقد **رفعه من الوسط مُسمِّراً إياه بالصليب**" (كو ٢:١٤)، إلى قيامته المنتصرة، وبعدها صعوده إلى المجد حيث سيأتي المخلَّصون: "فمِن ثَمَّ يقدر أن **يخلِّص أيضاً إلى التمام** الذين يتقدمون به إلى الله، **إذ هو حيّ في كل حين ليشفع فيهم**" (عب ٧:٢٥)، فإرسال الروح القدس لتأسيس الكنيسة ومساندتها حتى مجيء الرب الثاني وإعلان الخلاص الأخير: "هكذا المسيح أيضاً، بعدما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، **سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه**" (عب ٩:٢٨).

## الصليب والخلاص

والسؤال الآن: إذا كانت كل حلقات الخلاص مترابطة، وكلها ضرورية للخلاص، فلماذا يبرز من بينها دور الصليب، ويُحتفى به، ويفرد له الإنجيليون حيزاً كبيراً فيما كتبوه، مع أنه لا يقف وحده، فمجد الصليب لا يتراءى ولا يتلألأ إلاَّ في نور القيامة؟!

وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول:

**(١) إن الصليب كان الخطوة الأولى في المرحلة الحاسمة من إتمام الفداء.** وهو الخطوة الأصعب والأكثر إيلاماً، والمحاطة بالعار والضعف والإهانة والفضيحة، والمكلَّلة بالشوك والألم ونزف الدم، والمؤدية إلى الموت، والتي أظهرت الثمن الفادح الذي تحمله الله من أجل خلاص الإنسان "**بدون سفك دم لا تحصل مغفرة**" (عب ٩:٢٢).

(**٢**) ومن أجل دور الصليب المحوري في الخلاص، فقد صار **علامة ابن الله:** "عاملاً الصلح **بدم صليبه**" (كو ١:٢٠)، "حينئذ تظهر **علامة ابن الإنسان** في السماء" (مت ٢٤:٣٠)، وعلامة كنيسته وموضوع فخرها "وأما من جهتي، **فحاشا لي أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم**" (غل ٦:١٤).

(**٣**) إن الصليب ـ بالمسيح ـ لم يَعُدْ فقط علامة الخلاص والفخر، بل هو **إعلان قوة الله** وحبه الأبدي، وقدرته على الغفران، والانتصار على إبليس والعالم والخطية لكل مَنْ يؤمن: "فإنَّ كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المُخلَّصين فهي **قوة الله**" (١كو ١:١٨).

(**٤**) كما أن **الصليب هو الوسيلة التي تمجَّد الله بها** "قد أتت الساعة **ليتمجَّد ابن الإنسان**... وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليَّ الجميع. قال هذا مُشيراً إلى أية ميتة كان مُزمعاً أن يموت" (يو ١٢:٢٣و٣٢و٣٣). [وقد أشار الكتاب إلى الموت الذي يُمجِّد الله في حالة القديس بطرس "... قال هذا مُشيراً إلى **أية ميتة كان مزمعاً أن يُمجِّد الله بها**" (يو ٢١:١٩)].

فكما أن هناك مجد القيامة، فهناك أيضاً **مجد الصليب**. ولكن هذا يمر من باب المعاناة وبذل النفس والترك الأبوي والعزلة الأليمة: "**إلهي إلهي، لماذا تركتني؟**" (مت ٢٧:٤٦، مر ١٥:٣٤).

## الصليب والمؤمن

هكذا صار الصليبُ للمؤمن البابَ المفتوح على الحياة الأبدية، وصار كل مؤمن مدعواً لحمله، متشبهاً بسيده، ما دام ينشد خلاص نفسه "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه **ويحمل صليبه** ويتبعني " (مت ١٦:٢٤)، "ومَنْ **لا يحمل صليبه** ويأتي ورائي، فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو ١٤:٢٧). وصار الألم من أجل الإيمان طريقاً إلى المجد، لأنه في الأساس مشاركة مع المسيح في آلامه. والذين

يشاركون الرب في آلامه **سيتمتعون هنا بحياة المسيح فيهم**، وفي الأبدية بمجد القيامة "**مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ**" (غل ٢:٢٠)، "فدُفنَّا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا **نسلك نحن أيضاً في جدَّة الحياة**" (رو ٦:٤و٥)، "**إن كنا نتألم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه**" (رو ٨:١٧).

ربما كانت كلمات مثل: "**حَمْل الصليب**"، أو "**الصَّلْب مع المسيح**"، أو "**التألُّم معه**"، أو "**الموت معه**"؛ تبدو غامضة للبعض، وقد يرونها مجرد تعبيرات تأملية أو ذات معانٍ تجريدية تتجاوز إمكانية التطبيق. وها نحن نسترشد بكلمة الله ونعمته المُخلِّصة لجميع الناس (تي ٢:١١) لنعرف معنى هذه المواقف وكيف يمكن تحقيقها في حياتنا الإيمانية:

(**١**) فأول ما يتبادر إلى الذهن هو المعنى الحرفي أي **الموت الفعلي والاستشهاد من أجل الإيمان**، كما جازه الشهداء منذ تأسيس الكنيسة وعلى مر العصور وإلى آخر الأيام "إن كنا قد **متنا معه، فسنحيا أيضاً معه**" (٢تي ٢:١١).

(**٢**) كما تعني **قبول الاضطهاد** من أجله. وقد يكون الاضطهاد نفسياً أو تمييزاً علنيًّا أو تدبيراً بالظلم أو سلباً للحقوق وما أشبه "إن كانوا قد اضطهدوني **فسيضطهدونكم**" (يو ١٥:٢٠). وقد يُعاني بعض المتغربين عن شخص المسيح الاضطهاد ـ على سبيل الخطأ ـ وقد يزعجهم ذلك، ولكنها قد تكون فرصتهم لكي يندمجوا ضمن جماعة المؤمنين القابلين اضطهادهم بفرح كي يشتركوا أيضاً معهم في مجد المسيح.

أما الذين يندبون حظهم في الحياة بسبب ما يتعرضون له من اضطهاد، أو الذين يختصرون الطريق فيستكثرون الصليب ويتوجَّهون إلى بلادٍ أخرى، فلن ينالوا أجر احتمال الصليب. كما أن هناك مَنْ لا يربطهم بشخص الرب غير أسمائهم، ومن هنا فما أسهل أن يقطعوا صلتهم به تماماً ليرتبطوا بآخر لأسباب

متنوعة، ولكن كلها جسدية أرضية. وموقف الرب من هؤلاء معروف وسجَّله الكتاب "**مَنْ ينكرني قدام الناس أُنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات**" (مت ١٠:٣٣)، "**إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا. إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه**" (٢تي ٢:١٢و١٣).

(**٣**) كما تعني أيضاً **قبول الآلام** (بأنواعها حتى الآلام الجسدية النفسية) والأمراض وألوان العذاب ومصاعب الحياة ومشاكلها وهمومها إذا رضينا بها صابرين **كأنها شركة ألم مع المسيح**، فتتحول من مجرد سمة من سمات الحياة على الأرض يُعانيها الجميع إلى شركة في المسيح يصير لها بُعدها الأُخروي "لأعرفه وقوة قيامته **وشركة آلامه** متشبِّهاً بموته" (في ٣:١٠)، "أفرح في آلامي لأجلكم، **وأُكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي** لأجل جسده، الذي هو الكنيسة" (كو ١:٢٤).

(**٤**) كما تعني الموت عن الخطية وكراهية الشر والشهوات الأرضية، وأن يحيا المؤمن باذلاً نفسه حباً في المسيح والقريب، خادماً الكل خاصةً الغرباء والأعداء، **كحبة حنطة ماتت في محيط العالم فأثمرت ومجَّدت الله**: "إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُتْ فهي تبقى وحدها. ولكن **إن ماتت تأتي بثمر كثير. مَنْ يحب نفسه يُهلكها، ومَنْ يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية**" (يو ١٢:٢٤و٢٥)، "**فإن مَنْ أراد أن يُخلِّص نفسه يُهلكها، ومَنْ يهلك نفسه من أجلي يجدها**" (مت ١٦:٢٥).

ويرتبط بهذا أيضاً التخلِّي عن تعظُّم المعيشة وحب الرفاهية والانشغال الزائد بالحياة الجسدية بصورة عامة "**لأن اهتمام الجسد هو موت**" (رو ٨:٦). فإذا كانت "**محبة العالم عداوة لله**" (يع ٤:٤)، فإن إخلاء القلب من محبة العالم وما يعنيه من ضبط الرغبات من أجل المسيح هو حمل لنير المسيح (مت ١١:٢٩) حبًّا فيه "**ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات**" (غل

٢٤:٥). فمن المستحيل الجمع بين رأس مكلَّل بالشوك وأعضاء مرفهة.

**(٥)** وقد تعني أيضاً بذل الجهد والوقت والمال والمواهب من أجل مجد المسيح والكنيسة.

**(٦)** بل إن حياة الجهاد والنسك والعبادة والأصوام والتوبة الملتزمة والتعفُّف واختيار الباب الضيق والطريق الكرب، هي بنوع ما حَمْل للصليب وقبول للموت بالنية من أجل التمتع بشركة المسيح إلى الأبد.

على أننا نريد أن نؤكِّد هنا أن هذا كله جهد محفوف بالإخفاق إن لم تسنده نعمة الله، فنحن لا نستطيع أن نحمل الصليب وحدنا، حتى إن أردنا؛ فالمسيح هو شريكنا الحقيقي في حمل صليبه ونيره. وإذا كان المسيح في ضعفه قد سخَّروا سمعان القيرواني ليحمل عنه الصليب الذي سقط تحته، فالأمر الآن يختلف، فهو شفيعنا عند الآب (١يو ١:٢)، "فمِن ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، **إذ هو حيّ في كل حين ليشفع فيهم**" (عب ٢٥:٧)، وهو رفيق الحياة وكل الطريق، ووجوده معنا وفينا هو الضمان لكي نستطيع أن نواصل حياتنا هنا بلا عثرة ولا لوم قدامه حتى أنفاسنا الأخيرة.

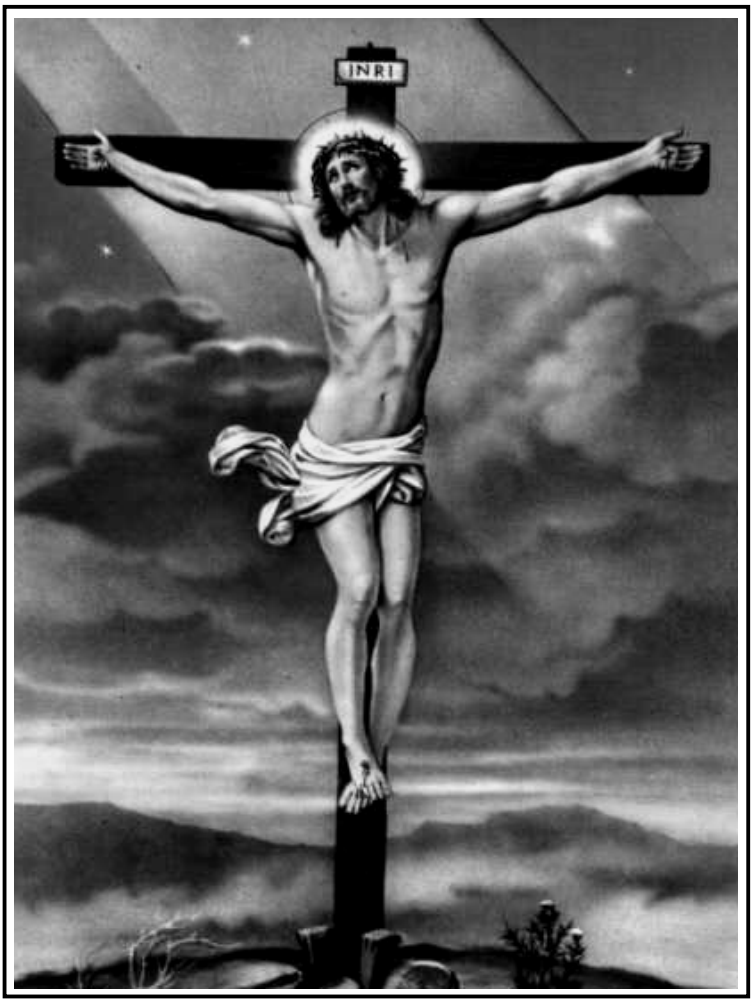


**"وهو مجروحٌ لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا"** (إش ٥٣:٥)

# ٣

# نحن والقيامة

+ القيامة وحياتنا العملية
+ معنا ولا نشعر به

# القيامة وحياتنا العملية

إن ظهور الرب فى التاريخ، وإن جعله هذا جزءاً من تاريخ العالم، والإنسان، إلا أنه يظل الابن الأزلى والدائم إلى الأبد "**يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" (عب١٣: ٨) والحاضر فى حياة الناس كل يوم "**لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد**" (اع١٧: ٢٨) **بشخصه** الموجود فى كل مكان، **وبروح قدسه** الواهب كل ما له للمؤمنين، ومن خلال **جسده ودمه** "**هوذا كائن معنا على هذه المائدة اليوم عمانوئيل**" (قسمة أعياد الملائكة وجميع السمائيين)، ومن خلال **كلمته الحية الباقية إلى الأبد** (١بط١: ٢٣، عب٤: ١٢).

وتظل أعمال الرب التى صنعها على الأرض - حتى وإن تمت فى التاريخ - فعلاً دائم التأثير كل الأيام، متجدداً لا يخضع للزمن ولا تطويه الأيام لتجعله ماضياً مفقوداً.

هكذا فإن قيامة الرب التى حدثت قبل ألفى عام إلا قليلاً، هبة المسيح القائم من الموت لكل من يؤمن، تفعل فعلها فى حياتنا اليومية بقدر ما نطلب ونؤمن ونفرغ القلب من الاهتمامات ونعدّه لحضور الرب.

إن قيامة الرب، كصليبه وموته، تبدو كجوهرة ثمينة متعددة الأوجه تسطع أنوارها

على كل جوانب الحياة. وها نحن هنا نعرض لبعض انعكاسات قيامة الرب على حياتنا القصيرة إلى أن نستوطن عنده.

## (١) حياة البر بديلاً عن حياة الخطية

"**فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم قد قمتم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله.. فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية... إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه**" (كو٣: ١-١٠).

عندما هتف القديس بولس "**مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ**" (غل ٢: ٢٠) فقد كشف لنا أننا بالإيمان شركاء الصليب والموت والقيامة، وأن المؤمنين هم هياكل الروح القدس (اكو٣: ١٦،٦: ١٩) وأجسادهم أعضاء المسيح (اكو ٦: ١٥). فموتنا مع المسيح يتطلب مقاومة إرادية للخطية ورفضها "**نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها**" (رو٦: ٢)، والتطلع إلى مافوق والاهتمام بحياتنا الأبدية. ونحن فى هذا لا نجاهد وحدنا، فالمسيح بموته وقيامته غلب الخطية شوكة الموت (١كو١٥: ٥٦)، ودانها (رو٨: ٣، ١كو١٥: ٥٥)، وخلصنا من سيطرتها "**لأن الخطية لن تسودكم**" (رو٦: ١٤).

وإبليس محرك الشهوة لم يعد عدواً منفلتاً كما كان بل صار محدود القوة والفاعلية (يو١٦: ١١). وإن كان إبليس يستغل أحيانا جهلنا بالقوة التى فينا فيثير فينا الإحساس بالضعف والخوف والعزلة ليسقطنا بالخديعة فنُحارَب بالجوع ونحن نملك الخبز السماوى ونُمتحَن بالعطش ولنا ينابيع مياه حية لاتنفد، إلا أن الذى يسند ضعفنا فى هذا المجال أن الذى فدانا هو حىٌ فى كل حين، ومن ثم يقدر أن يخلِّص إلى التمام كل النفوس التى تتقدم إليه بالتوبة متشفعة بقوة دمه المستمرة إلى أبد الدهور (عب٧: ٢٥).

## (٢) الحياة الجديدة محل الحياة الروحية الشكلية

**" إن كنتم قد قمتم مع المسيح عن أركان العالم فلماذا كأنكم عائشون فى العالم تُفرَض عليكم فرائض لاتمس ولا تذق ولاتجس"** (كو٢: ٢٠،٢١).

بعد قرون من المعايشة مع الناموس أُفرغ من محتواه وتحولت العبادة إلى ممارسات آلية شكلية وتتميم فرائض وعبادة بالشفاه لا تقصد الله وإنما إرضاء الذات، فأتسعت المسافة بين الله والقلب البعيد. ومن هنا فقد كرّس المسيح جانباً كبيراً من تعليمه لإدانة هذه الاتجاهات والتحول إلى العبادة الحقيقية والتوبة والدخول إلى العمق مشيراً إلى أن إهلاك الذات هو طريق خلاصها وحياتها الأبدية (مت١٦: ٢٤-٢٦، لو٩: ٢٣-٢٥). ومعلمنا بولس يحذرنا من أن اهتمام الجسد هو موت، بل وعداوة لله، وأن اهتمام الروح هو حياة وسلام (رو٨: ٦،٧).

فموتنا مع المسيح يرفع عقلنا وقلبنا نحو الحياة الجديدة التى تعنى تغير القلب وتوحده بعد انقسام، وأن يكون هدف كل ألوان العبادة هو الاتحاد بشخص المسيح الحى وليست بديلاً مستقلا عنه.

## (٣) السلام لا الخوف

**"وجاء يسوع ووقف فى الوسط وقال لهم سلام لكم"** (يو٢٠: ١٩، لو٢٤: ٣٦).

خلف الأبواب المغلّقة كان التلاميذ أسرى الخوف واليأس حتى هلّت عليهم بكل البهاء طلعة المحبوب الذى جاز رعبة الموت والنزول إلى الجحيم، وفتح أبواب السجن وأطلق المأسورين المنتظرين على مدى الأجيال وأدخلهم إلى الفردوس مع اللص التائب الذى لحق بموكب المنتصرين فى الدقيقة الأخيرة، وعبر السيد أبواب العلّية ومعه هبته العظمى: السلام، الطارد للخوف **"لاتخافوا"** (مت١٤: ٢٧، ٢٨: ١٠، مر٦: ٥٠).

المسيح المنتصر ينتزع خوفنا من الموت **"أين شوكتك ياموت. أين غلبتك يا هاوية"** (١كو١٥: ٥٥)، أو العالم المضطهِد **"لاتخافوا من الذين يقتلون الجسد"**

(مت١٠: ٢٨)، أو الغد المجهول "**لاتهتموا للغد**" (مت٦: ٣٤). لقد رفع المسيح أشواقنا إلى فوق فليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة (عب١٣: ١٤)، وليس هناك ما أو من نخافه، أو عندنا ما نخاف عليه، وسيبقى المسيح أبداً سندنا وقت الضيقات أو فى وجه الخطر "**وهذه هى الغلبة التى تغلب العالم إيماننا**" (١يو٥: ٤)، وسيظل وعده، **بأن يكون معنا كل الأيام إلى إنقضاء الدهر** (مت ٢٨: ٢٠)، الشمس التى تقشع كل سحب الخوف من حياتنا. ولنردد مع الرسول بولس "**من سيفصلنا عن محبة المسيح، أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عُرى أم خطر أم سيف. كما هو مكتوب إننا من أجلك نُمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنم للذبح لكننا فى هذه كلها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا**" (رو٨: ٣٥-٣٧).

## (٤) اليقين مقابل الشك

**"طوبى للذين آمنوا ولم يروْا"** (يو٢٠: ٢٩)

ناب توما عن كل المتشككين فى قيامة الرب حتى لَمس جراحاته ووضع يده فى الجنب المطعون وبعدها هتف "**ربى وإلهى**" (يو٢٠: ٢٨). وهكذا تأيدت قيامة الرب بشهادة توما، والتى سبقتها شهادة القبر الفارغ والحجر المدحرج وشهادات الملائكة والمريمات وتلميذى عمواس (لو٢٤: ٣٥)، ولقاءات المسيح العديدة بعد قيامته والتى سجلها الانجيليون ومعلمنا بولس (١كو١٥: ٥-٨) والرائى يوحنا فى جزيرة بطمس (رؤ١: ٩).

فالقيامة حقيقة مؤكدة، وهذا هو ضمان خلاصنا وقيامتنا وحياتنا الأبدية كمؤمنين لا رجاء لنا فى غير المسيح ولا حياة لنا بغيره، مصدقين لكلمة الله ومؤمنين بشهادة الآباء الذين فى يقينهم بالقيامة أقبلوا على الموت فرحين (بمن فيهم توما نفسه). وإذا كان المسيح قد صدق فى وعده بالقيامة من الموت فى اليوم الثالث (مت١٦: ٢١، ٢٠: ١٩، ٢٦: ٣٢؛ مر٨:٣١، ١٤:٢٨، ١٠:٣٤، لو٩: ٢٢، ١٨: ٣٣)، وفى إرساله الروح القدس (لو٢٤: ٤٩، أع١: ٤-٨)، فنحن بالتالى نثق فى كل وعوده لنا وبأنه حتى إن زالت السماء والأرض **فإن كلامه لا يزول** (مت٢٤: ٣٥، مر١٣:

٣١)،وأنه سوف يأتى فى مجده على السحاب (مت٢٥: ٣١، ٢٦: ٦٤، مر٨: ٣٨، لو٩: ٢٦، ٢١: ٢٣) فطوبى للذين يجدهم ساهرين (لو١٢: ٣٧)، وكلماته إلى ملاك كنيسة سميرنا تنادينا "**كن أمينا إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة**" (رؤ٢: ١٠).

## (٥) شركة الألم والمجد

" **لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته**" (فى٣: ١٠).

كان الألم قبل المسيح هو ثمرة الخطية وعقوبتها. والمظالم و الأوجاع والأمراض هى محنة للإنسان يجوزها طفلاً ورجلاً وامرأة بالحيرة، ثم يلطمه الموت الساحق. وعندما قبل المسيح الآلام كشريك للإنسان فى أوجاعه وموته جعل لآلام الإنسان قيمة ومعنى مختلفاً. فإلهنا إذ قد تألم مجرباً، وذاق الموت لأجل كل واحد، يقدر أن يرثى لضعفنا ويعين المجربين (عب٢: ٩،١٨، ٤: ١٥). فالإنسان إذن لا يتألم وحده.

+ ونحن بالإيمان لانرى اليد الطاعنة بالغدر ولا تصرف الصديق الخائن ولا قرار الرئيس المضطهِد ولا اعتداء المتعصب الجاهل، ولكننا نرى تدبير الله الذى يسمح بالآلام من أجل الخلاص ويقدمها فى كأس لكى نشربها واثقين من عدله ومحبته"**لم يكن لك علىّ سلطان لو لم تكن قد أعُطيت من فوق**" (يو١٩: ١١) (من حديث المسيح إلى بيلاطس). "**ليس أنتم أرسلتمونى إلى هنا بل الله**" (تك٤٥: ٨).. "**أنتم قصدتم بى شراً أما الله فقصد به خيراً**" (تك٥٠: ٢٠) (من حديث يوسف إلى إخوته)، ونحنى الجباه راضين قائلين: لتكن لا إرادتنا بل إرادتك الصالحة (لو٢٢: ٤٢)، ومن ثم لا يحمل القلب ضغينة للأشخاص الظاهرين المتسببين فى الألم "**ياأبتاه اغفر لهم**" (لو٢٣: ٣٤).

+ ومن أجل المسيح صار قبول الألم مشاركة لآلام المسيح ذاته "**أكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى**" (كو١: ٢٤). فأى فخر وأية محبة أعطانا الله.

+ وصار الألم امتحاناً للإيمان ودفعه إلى فوق كالذهب الذى يُمتحن بالنار فيتنقى (١بط١: ٧). فالمحنة تقربنا من الله وتنقّى النفس من الشوائب وتقود إلى تجديد التوبة.

+ وبالألم نخرج من دائرة الذات لكى نشارك الآخرين آلامهم ونشددهم "**نعزى الذين هم فى كل ضيقة بالتعزية التى نتعزى نحن بها من الله**" (٢كو ١: ٣).

+ بل صار الألم الباب المؤدى إلى المجد كما كان الصليب للقيامة "**إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه**" (رو٨: ١٧)، "**لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً**" (٢كو ٤: ١٧).

+ وصار الموت فى نور قيامة المسيح الباب المفتوح على القيامة ونهاية لآلام الزمان الحاضر بما لا يقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا (رو ٨: ١٨). وبالموت نعود إلى مكاننا القديم العتيد الذى فقدناه بالخطية ويصير جسرنا إلى الحياة الأبدية.

## (٦) الفرح محل الحزن الردئ

" **ففرح التلاميذ إذ رآوْا الرب**" (يو٢٠: ٢٠)

وعد المسيح تلاميذه قبل آلامه بقوله "**ولكنى سأراكم ايضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم.. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا**" (يو١٦: ٢٢-٢٤). وبعد موته، واجتماعهم معاً وقد غلبهم الحزن، وقف الرب القائم بهم فانتشلهم من هوة اليأس والهمّ واجتاحهم فرح عظيم.

وفى حياة المؤمنين تثمر القيامة فرحاً مجيداً لا يُنطق به. فرحاً ثابتاً لا تغلبه هموم الزمان، أو ألوان الحرمان والإحباط المختلفة، أو التجارب الأليمة حتى وإن سحقت عواطف الإنسان واعتصرت وجدانه؛ فهذا كله يحدث على السطح كموج البحر، أما الأعماق فتظل صامدة مستندة إلى صخر الدهور الذى لا يتغير. وها هم رسل الرب يُعتَقلون ويُجلَدون ويُطلَقون فيذهبوا من أمام المجمع فرحين "**لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه**" (أع٥: ٤١)؛ والقديس بولس يكتب رسائل الفرح وهو مكبل فى سلاسل السجن من أجل المسيح (أف٦: ٢٠). سيظل الحزن مع هذا رفيق الإنسان المؤمن ولكنه حزن يختلف عن حزن العالم الذى ينشئ موتاً ويأساً "**لاتحزنوا كالباقين الذين لارجاء لهم**" (١تس ٤: ١٣). وهو حزن حسب مشيئة الله، حزن يطهر النفس، وينشئ توبة لخلاص بلا ندامة (٢كو٧: ١٠).

فلنقترب إذن من إلهنا المنتصر لكى تسطع على حياتنا أنوار **قيامته المجيدة** فتقشع منها غيوم الخطية والاهتمامات الجسدية وممارسات التدين الشكلى، ميراث الإنسان العتيق، ونقتنى الحياة الجديدة المتشحة ببر المسيح. ولتتوقف عناصر الخوف والشك وليشرق علينا السلام الواثق المستند إلى يقين الحياة الأبدية التى إليها دُعينا. ولتغرب من حياتنا ألوان الحزن المنشئ للموت والاستسلام للآلام دون تعزية، لكى نتحول نحو المصلوب الظافر ونختبر حياة الفرح الحقيقى الذى يتسامى فوق كل محن الحياة ونقائصها، والذى معه تصبح آلامنا شركة فى صليب المخلص وآلامه وأيضاً فى مجده، ويصير موتنا آخر أرباحنا على الأرض ومعبرنا إلى الحياة الأبدية.

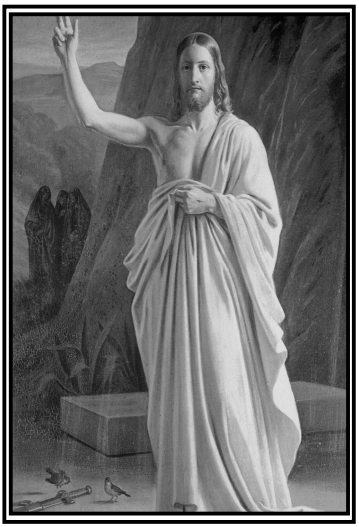

# معنا ولا نشعر به*

كان نهار الأحد قد بدأ يميل. وفى الطريق من أورشليم إلى قرية عمواس، كان لوقا وكليوباس يسيران مطرقى الرؤوس، مثقلى القلب بالهم. فقبل يومين كانت أحداث الصليب، وفى ختامها أسلم السيد الروح.

بدت الأيام السابقة ككابوس مرعب فى أعقاب سنوات ثلاث سعيدة، برفقة المعلم المحبوب، مضت وكأنها الحلم. وهاهما اليوم وسائر التلاميذ يجابهون واقعا أليما. وإن بدا فى الأفق ما ملأهم بالحيرة وجعل حزنهم يختلط بالأمل، إذ قيل إن بعض النساء ذهبن إلى قبره، ولكن لم يجدن جسده، وإن كنّ رأين ملائكة قالوا إنه قام. ومضى بعض التلاميذ إلى القبر فوجدوه بالفعل فارغاً.

* من وحي لقاء الرب مع تلميذي عمواس.

"وفيما هما يتكلمان ويتحاوران **اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما**"، وسألهما عن سبب هذا العبوس والهم، فدهشا لتساؤله قائلين "**هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام**".

ولكنه فى الحقيقة كان وحده الذى يعرف كل الحقيقة. وابتدأ هو يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب ولامهما على بطء قلبيهما فى الإيمان بما تكلم به الأنبياء (وبما سمعاه منه قبلا).

ولما اقتربوا من عمواس، ألحّا عليه قائلين "**امكث معنا** لأنه نحو المساء وقد مال النهار. **فدخل ليمكث معهما... وأخذ خبزا وبارك وكسَّر وناولهما، فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما**" (**لو٢٤: ١٣-٣١**).

ما جرى مع تلميذى عمواس يجرى معنا أحيانا. الرب يقترب ويتدخل ويعبر ولكننا لا نفطن إلى حضوره. وربما انتبهنا بعد أن يمضى. **فحضور الرب فى حياتنا هو الحقيقة التى لا يصح أن تغرب عنا مهما كانت الظروف، ومهما بدا أن الرب غائب.**

فقد كان الرب مع تلاميذه فى السفينة نائما والليل قد أرخى سدوله، وسمح الرب للريح أن تشتد وأن تضرب الأمواج السفينة. ولكن مجرد حضور الرب لم يكن كافيا للتلاميذ لكى يطمئنوا "فأيقظوه وقالوا له يا معلم أما يهمك أننا نهلك" فقام وانتهر الريح فصار هدوء عظيم ولكنه التفت إليهم وقال لهم "**ما بالكم خائفين هكذا. كيف لا إيمان لكم**"(مر٤: ٣٥-٤٠، لو٨: ٢٢-٣٥).

فثقتنا فى حضور الله فى حياتنا وبتدخله فى الوقت المعين هو الذى ينتزع الخوف من التجربة أو الظالم المضطهِد ويحبط كل خطط العدو لتهديد سلامنا، وهو الذى يمنحنا الثقة بالغلبة المحتومة ساعة الشدة مهما طالت "**إن كان الله معنا فمن علينا**"(رو٨: ٣١).

## نعم.. الرب قريب.. بل معنا وفينا

+ فآخر كلماته قبل صعوده كانت "**وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**" (مت٢٨: ٢٠). وفيها يؤكد أنه إذا كان قد ارتفع عنا بالجسد فهو دائم الوجود فى كل مكان وكل الأيام وحتى نلتقى معه فى ملكوته.

+ بل إن اسمه يحمل طبيعته ومحبته ورعايته الدائمة لنا "**عمانوئيل** الذى تفسيره **الله معنا**" (إش٧: ١٤، مت١: ٢٣).

+ ومن يفتشون الأسفار المقدسة يلتقون بوعود الله الصادقة برفقته الدائمة لنا خاصة فى أوقات الشدة والضيق "يدعونى فأستجيب له.. **معه أنا فى الضيق** أنقذه وأمجده" (مز٩١: ١٥)،"**فى كل ضيقهم تضايق** وملاك حضرته خلصهم"(إش٦٣: ٩)، "**لا تخف لأنى معك**" (تك٢٦: ٢٤، إش ٤١: ١٠، ٤٣: ٥).

+ وكما حدث مع تلميذى عمواس، فالله الذى يعرف خرافه بأسمائها ويدرك ما تجوزه من متاعب **هو الذى يقترب إليها** (لو٢٤: ١٥) **ويرافقها فى الطريق** ليؤنس وحدتها.

+ والذين اختبروا هذا الحضور الإلهى فى حياتهم سجلوه فيما كتبوا "**قريب هو الرب**" (مز٣٤: ١٨، ١٤٥: ١٨)، "**الرب قريب**" (فى٤: ٥). بل أن القديس بولس لا يرى الرب قريبا فقط بل إنه يحيا فيه "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا **بل المسيح يحيا فىَّ**" (غل٢: ٢٠).

+ وعندما نقول **إن الرب قريب** فهذا يعنى أنه أمامنا بالفعل، وأنه هو الذى ينتظر دعوة للعشاء "**هاأنذا واقف على الباب وأقرع، إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى**" (رؤ٣: ٢٠).

## كيف يتعامل الرب معنا ؟

**من مراحم الرب أنه تجسد وحل بيننا، وأحبنا حتى الموت، ثم قام من الأموات واهباً الحياة الأبدية لكل من يؤمن.**

وحتى مجيئه الثانى المخوف يبقى لنا وجه المسيح اللطيف وظهوراته المساندة للضعف، وزياراته لمحبيه، ورفقته لنا فى الطريق كلما داهمتنا الحيرة، بل وحضوره عند استدعائه كى يقيم مريضا، أو لإعلان ذاته للباحثين عن الحق.

ربما لفت انتباهنا بعضُ مشاهد العهد القديم لحضور الله كما أشار إليها كاتب سفر العبرانيين، مقارنا بينها وبين تجليات العهد الجديد المملوءة حنانا، فيكتب : "**لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق وصوت كلمات استعفى الذين سمعوه من أن تُزاد لهم كلمة لأنهم لم يحتملوا ما أُمر به**... بل قد أتيتم إلى جبل صهيون **وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية** وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات وإلى الله ديان الجميع وإلى أرواح أبرار مكمَّلين **وإلى وسيط العهد الجديد يسوع** وإلى دم رشّ يتكلم أفضل من هابيل" (عب ١٢: ١٨ – ٢٤).

ولكن كان للرب بالطبع معاملاته مع محبيه فى العهد القديم سواء من خلال الأنبياء أو فى حلم أو رؤيا أو فى لقاء مباشر. **فإبراهيم دعى خليل الله** (يع ٢ : ٢٣) وتجاسر أن يتشفع من أجل سدوم وعمورة (التى عظمت خطيتهم جداً– تك ١٨: ٢٠). **وكلم الله يعقوب فى الحلم** (تك ٢٨: ١٢ – ١٥) بل **وصارعه يعقوب حتى طلوع الفجر** (تك ٣٢: ٢٤) وبعدها ظهر له الله وغيّر له اسمه إلى إسرائيل (تك ٣٥: ١٠). كما كان الرب يتكلم مباشرة مع **موسى** الذى لقَّبه البعض "**كليم الله**". ويضيق المقام عن ذكر كل لقاءات الرب الحميمة مع كثيرين من شعبه صغاراً وكباراً بينهم **صموئيل** صبياً (١صم ٣: ١، ١٠) ونبياً عظيماً، ثم **داود** النبى والملك والمرتل، و**سليمان** الحكيم والملك، **وإشعياء وإرميا وحزقيال ودانيال** الأنبياء وغيرهم.

ولعلنا نشير هنا إلى أن كثيراً من لقاءات الرب فى العهد القديم كانت حانية حافلة بالرقة كما رأيناها فى شخص مخلص العالم . وها هو **إيليا** يذكر لنا كيف دعاه الرب

للقائه وطلب منه أن يقف على جبل حوريب "وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقّت الجبال وكسّرت الصخور أمام الرب ولم يكن الرب فى الريح. وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب فى الزلزلة. وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب فى النار. وبعد النار **صوت منخفض خفيف**" (١مل ١٩: ٩ – ١٢).

فلا نتوقع إذن – بصورة عامة – أن يكون اقتراب الرب منا مصحوباً بأى أمر غير عادى. فالمريمات والتلاميذ قابلوا الرب بعد قيامته دون أن يرتاعوا. فرأوه بستانياً أو عابر سبيل كسائر البشر، أو كما رآه القديس الأنبا بيشوى مُقعداً يطلب المساعدة فحمله وغسل قدميه وارتبط اسمه به (حبيب مخلصنا الصالح). غير ذلك هو الاستثناء فى المواقف التى تقتضيه (كما فى لقاء الرب مع شاول وجعل منه **بولس رسول الأمم** ) (أع ٩: ٣ – ٢٢).

قد نلتقى الرب إذن فى أى غريب، أو عابر سبيل، أو رفيق طريق أو سفر (لو ٢٤: ١٥)، أو محتاج للمعونة (مت٢١: ٣، ٢٤: ٣٥، ٣٦، مر١١: ٣، لو١٩: ٣١، ٣٤) أو من يمد لنا يد المساعدة. وهنا فإن أمثال السامرى الصالح صانعى الرحمة هم أقرب الناس للقاء المخلص فيمن يقدمون لهم الرحمة.

وقد تصلنا رسالة الرب من خلال كلمات الكتاب أو الروح (أع ١٣: ٢) أو ملاك، أو فى حديث إنسان نعرفه أو لا نعرفه، أو فى عظة أو قصة نسمعها، أو حادثة أو تجربة نمرّ بها أو يمر بها غيرنا، فى عطية أو نعمة أو زوالهما، فى فرح نختبره أو حزن، فى كسب أو خسارة، أو فى أى عمل من أعمالنا اليومية.. وربما يأتينا الرب فى رسالة خاصة أو زيارة أو رؤيا أو حلم، فضلاً عن لقائنا الحميم به واتحادنا فيه عندما نشترك فى مائدة الرب الذى يتقدم ويناولنا.

**القصد أن لقاء الرب بنا أمر متوقع تماماً، ويبقى أن ننتبه إلى اقترابه منا ونعدّ أنفسنا لتبيّن صوته وتلقّى توجيهاته، أو مساعدة من نلتقى به فيهم.**

## لماذا لا نشعر بحضوره ؟

بعد هذا كله، لماذا لا يشعر البعض منا بحضور الرب أو يلتقى به أو يلتقط رسالته أو يميّز صوته رغم أنه عنا ليس بعيداً ؟ هذه محاولة للإجابة :

(**١**) لأن الرب عند البعض مستبعد من الحياة. فهو الحاضر الغائب. وبالتالى فقد استبعد هؤلاء احتمال لقائه بسبب فقر الإيمان وقلة الرجاء والانشغال الشديد بالعالم والعالميات. ولنقارن مثلاً موقف **المجدلية** التى عرفت الرب لما ناداها باسمها (يو ٢٠: ١٦) وموقف **توما** الذى لم يصدق شهادة التلاميذ ولم يؤمن إلا بعد أن وضع أصبعه ويده فى أثر المسامير وطعنة الحربة، وامتدح الرب النفوس المؤمنة "**طوبى للذين آمنوا ولم يروا**" (يو ٢٠: ٢٩). **كيف نستبعد الرب وهو فينا ؟**

(**٢**) لأننا لا نعرف ملامحه جيداً بسبب ندرة لقاءاتنا معه أو ضحالتها. ولذا فخبراتنا عنه محدودة جداً، وإلمامنا بلغته قليل. ومن هنا فهو يأتينا وينفلت منا – كأنه غريب عنا – دون أن ندرك إلا بعد فوات الأوان، وهنا أيضاً فلنذكر موقف **يوحنا الحبيب**، عندما التقى الرب بالتلاميذ السبعة على شاطئ طبرية، وكان أول من أدرك أنه الرب (يو ٢١: ٧).

فلنجلس إليه طويلاً ونتعلم لغته. فقراءة كلمته مع الصلاة هما الطريق العملى للتعرف على سماته، وفهم لغته، حتى إذا لقيناه عرفناه سريعاً فربما لا يطول اللقاء.

(**٣**) لأن قلبنا جهاز استقبال لكل الموجات، فيأتينا صوت الرب مختلطاً مع غيره ولا نتبيّنه. القلب المكرس هو قلب ذو طول موجة واحدة هى الصوت الإلهى. ولابد من إصلاح الجهاز الداخلى بالتوبة الشاملة والمستمرة لاستبعاد كل أجهزة التشويش وتداخل ميول العالم، فيصير لنا رهافة الشعور ونقاوة القلب التى نستطيع بها أن نلتقط صوت الرب – مهما تنوعت وسائله – والإحساس بحضوره حالما يتم ذلك. فقلب مريم المجدلية التقط الصوت فقالت "**ربونى**" (يو٢٠ : ١٦)، ويشهد الرب عن **داود** إذ قال **وجدت داود بن يسىّ رجلاً حسب قلبى** (أع ١٣: ٢٢).

(٤) لأن بعضنا عقليون جامدون ذاتيون قد فقد قلبهم حيويته ودب فيه الجفاف والبرودة. ومن هنا لا تتحرك مشاعرهم بالفرح أو التوبة، ولا يعرفون الخشوع أو مخافة الرب ولا يدركون محدوديتهم و قصور علمهم وقدراتهم الذاتية. وهم يُرجعون كل ما يمر بهم – حتى الحقائق الساطعة التي تشير إلى عمل الله وتدخّله – إلى مجرد المصادفة وليس إلى ترتيبات الله المتقنة المقصودة، وإذا غلبتهم مشاعرهم الإنسانية التي أودعها الله فيهم قمعوا هذا الشعور إرادياً، و لم يصرخوا مع توما "**ربي وإلهي**" (يو ٢٠ : ٢٨).

وعلى هؤلاء – إن أرادوا التمتع بصحبة الرب– أن يتوبوا عن غرورهم وجهلهم ويتعلموا أن "**رأس الحكمة مخافة الرب**" (مز ١١١: ١٠)، وأن يتيقنوا أن الرب قريبٌ للبسطاء والأطفال "أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء **وأعلنتها للأطفال**" (مت ١١: ٢٥)، بعيدٌ عن المعتّدين بحكمتهم "**اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء**" (١كو ١: ٢٧)، وهو قريب لمنكسرى القلوب ولخائفيه وطائعى وصاياه.

فى الختام نقول إن النفوس الروحية تدرك حضور الرب الدائم "**يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" (عب ١٣: ٨). فهو ليس أسير التاريخ وإنما هو الحى دوماً الحاضر فى حياتنا كل يوم : فهو ضيفنا على المائدة، ورفيقنا فى العمل والخدمة، وكل الأعمال اليومية الصغيرة. بل إننا يُمكن أن نراه فى كل البشر من حولنا، فى كل رجل وامرأة وطفل، وفى كل محتاج ومتألم ومضطَهد "**بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم**" (مت٢٥: ٤٠). وعلينا ألا نسمح لآلية الحياة (أو حتى آلية العبادة) أن تطويه أو تواريه، **بل نسعى لكى نراه متجدداً مع كل صلاة، ومع**

**كل قراءة للإنجيل** (حتى ولو لنفس الأصحاح)، **وكل اشتراك فى مائدة الرب، وكل احتفال بأعياد الرب، وكل خدمة، وكل عمل، بل مع كل يوم من أيام الحياة.**

**آمين .. تعال أيها الرب يسوع.**

# نحن والشهادة للمسيح

+ نحن أيضاً تلاميذ
+ عندما يأتي الموت

# نحن أيضاً تلاميذ

وهو يبدأ كرازته، اتجه الرب ناحية بحيرة جنيسارت (بحر الجليل أو بحيرة طبرية)، وعلى شاطئها كان هناك بعض الصيادين فدخل إحدى سفنهم وجلس وصار يعلم الجموع الواقفة على الشاطئ. ثم توجه الرب بحديثه إلى الصيادَيْن سمعان بطرس وأندراوس أخيه، اللذَيْن كانا قد تعبا الليل كله دون أن يصطادا شيئاً، ودعاهما إلى الدخول إلى العمق، فأمسكا سمكاً كثيراً جداً حتى أنهما طلبا مساعدة زميليهما في السفينة الأخرى، يعقوب ويوحنا ابني زبدي. وبعدها دعا الرب الصيادين الأربعة ليصطادوا الناس، فتركوا كل شئ : السفن والشباك والصيد الكثير والأهل، وتبعوه (مت٤:١٨-٢٢، مر ١:١٦-٢٠، لو ٥:١-١١).

وتوالى اختيار بقية التلاميذ بدءاً من لاوي (متى) (مت٩:٩، لو٥:٢٧، ٢٨) حتى صار عددهم **اثنى عشر** (مت١٠:١، مر١٤،٣:١٣، ٦:٧، لو٩:١)." ثم عين الرب **سبعين** آخرين أيضاً" (لو١٠:١). وقد رافق هؤلاء الرب ليكونوا شهوده الأمناء

(لو٢٤:٤٨، أع١:٨) : يسمعون تعاليمه ويحفظونه* ويرون معجزاته ويعاينون قدرته وتنكشف لهم أسرار ملكوت السموات. وهذه الجماعة القليلة وقد نالت قوة الروح بشرت بالخلاص ونشرت الإيمان في المسكونة كلها وبذلت نفسها من أجل مخلصها.

ربما ظن البعض أن التلمذة للرب مقصورة على الاثنى عشر والسبعين، ولكن الحقيقة الكتابية **أن كل المؤمنين هم أيضاً تلاميذ** (أي تابعين)، حيث الالتصاق بالمعلم والاقتداء به وتبعيته وحفظ كلامه وحمل صليبه وخدمته هو جوهر الإيمان، وها هي آيات الكتاب تؤكد هذه الحقيقة :

+ فالرب يستخدم تعبير "**التلمذة**" في مجال البشارة:

"فاذهبوا **وتلمذوا** جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت٢٨:١٩).

+ والكتاب يستخدم كلمة "**تلاميذ**" عموماً بمعنى المؤمنين الملتزمين :

"وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي **تلميذاً**. ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي **تلميذاً**" (لو١٤:٢٥-٢٧)؛

"ودعا **الجمع مع تلاميذه** وقال لهم من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (مر٨:٣٤)؛

"إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون **تلاميذي**" (يو٨:٣١).

---

* ولكن كثيراً من تعاليم المسيح لم تقتصر على التلاميذ وإنما أيضاً للجموع الكثيرة التي كانت تتبعه (مت٥:١، ٢، ١٣:٢، ٣، مر٤:١، ٢، ٨:٣٤، لو٨:٤).

+ وفي معجزة شفاء الأعمى منذ ولادته يقول للذين يسألونه عن كيف فتح الرب عينيه "ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له **تلاميذ**. فشتموه وقالوا أنت **تلميذ** ذاك. وأما نحن فإننا **تلاميذ** موسى (أي أتباعه المؤمنون برسالته) "(يو٩:٢٧، ٢٨).

+ "**التلاميذ**" (معرّفة بأل) قد يقصد بها الاثنى عشر بالذات أول من آمن بالرب وتبعه "ثم دعا **تلاميذه الاثنى عشر**" (لتمييزهم عن سائر المؤمنين الذين تبعوه بعدهم) (مت١٠:١)؛

ولكن الكتاب يذكر غيرهم **كتلاميذ** :

"ثم أن يوسف الذي من الرامة وهو **تلميذ** يسوع..." (يو١٩:٢٨)

+ وبعد الصعود "قام بطرس في وسط **التلاميذ** وكان عدة أسماء نحو مائة وعشرين" (أع١:١٥).

+ وبعد تأسيس الكنيسة "وفي تلك الأيام إذ تكاثر **التلاميذ** ..." (أع٦:١).

"وكانت كلمة الله تنمو وعدد **التلاميذ** يتكاثر جداً في أورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان" (أع٦:٧).

"وأما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على **تلاميذ** الرب" (أع٩:١).

"وكان في دمشق **تلميذ** اسمه حنانيا فقال له الرب في رؤيا يا حنانيا..." (أع٩:١٠).

"ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق **بالتلاميذ** وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه **تلميذ**" (أع٩:٢٦).

"وكان في يافا **تلميذة** اسمها طابيثا" (أع٩:٣٦).

"ودُعى **التلاميذ** (أي المؤمنون) **مسيحيين** في أنطاكية أولاً" (أع١١:٢٦).

"فبشرا (بولس وبرنابا) في تلك المدينة (دربة) **وتلمذا** كثيرين" (أع١٤:٢١).

+ وفي الرهبنة فالأب الروحي **يتلمذ** آخرين يتعلمون منه ويسيرون على نهجه ويواصلون رسالته **فيتلمذون** آخرين.

## فماذا علينا كتلاميذ ؟

عندما يتغير مفهوم علاقتنا بالرب من مجرد تابعين "من بعيد" (مت٢٦:٥٨)، **إلى تلاميذ**، سنراجع أنفسنا فيما يتعلق بالتزاماتنا التي تفرضها هذه العلاقة :

+ وأولى الالتزامات أن يصير الرب هو محور الحياة وله الموقع الأول **"تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك"** (مت٢٢:٣٧، مر ١٢:٢٣، لو ١٠:٢٧).

+ وأن ينكر المؤمن نفسه مستعداً لتحمل نفقة تبعية الرب بما فيها قبول الآلام وحمل عار المسيح دون أن يتململ "حينئذ قال يسوع **لتلاميذه** (للجميع) **من أراد (إن أراد أحد) أن يأتي إليَّ فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني"** (مت١٦:٢٤، مر٨:٣٤، لو٩:٢٣) **"ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً"** (لو١٤:٢٧) **"إن كان أحد يأتي ورائي ولا يبغض ... حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً"** (لو١٤:٢٦).

+ وأن يكون إتمام خلاصه هو هدف كل الحياة وبالتالي فهو بالنعمة يرفض الاستجابة لنداءات الخطية متخلياً عن مكاسب العالم ويعيش بالتوبة والقداسة مجاهداً جهاد الإيمان الحسن وممسكاً بالحياة الأبدية (١تي٦:١٢، ١٩) **"لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلّصة لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح "** (تي٢:١١-١٣) **"فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي (ومن أجل الإنجيل) يجدها (فهذا يخلصها)"** (مت١٦:٢٥، مر٨:٣٥، لو٩:٢٤) **"اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره"** (مت٦:٣٣).

+ وهو بالتالي لابد أن يتخلى عن محبة العالم الحاضر وأن يجعله في خدمته لا أن يخضع له وينخدع بزخارفه **"إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني (حاملاً الصليب)"**(مت١٩:١٦-٢٢، مر١٠:١٧-٢٢) **"فكذلك كل واحد لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً"** (لو١٤:٣٣).

+ وكما كان تلاميذ الرب، فهو أيضاً يشهد له (أع١:٨)، مخبراً بفضائل من دعاه من الظلمة إلى نوره العجيب (١بط٢:٩)، مدركاً دوره في التبشير بخلاص الرب سواء بالكلمة أو بالقدوة (١تي٤:١٢)، فيضئ نوره قدام الناس ويمجدوا الله فيه (مت٥:١٦)، ومستشعراً مسئوليته تجاه البعيدين والمستهترين والمقاومين من المحسوبين ضمن دائرة الكنيسة، وعينه أيضاً على تقديم المسيح وانجيله لغير المؤمنين بكل طريق مجاهداً ضد ضعفاته وسائلاً مؤازرة نعمة الله لئلا يكون عثرة لأحد.

## الدعوة هي لنا أيضاً

+ لايزال الرب يقترب من الناس خاصة المؤمنين الغافلين كي يصيروا له **تلاميذ**. وبينما هم غارقون في اهتمامات الحياة اليومية والسعي وراء الأشياء الميتة والمكاسب المرحلية – رغم أنهم يخرجون منها في النهاية صفر اليدين – "ولا يأخذون شيئاً" (لو٥:٥)، يدعوهم هو أن يتوقفوا عن الدوران في هذه الحلقة المفرغة "**وهلم ورائي**" (مت٤:١٩) أي احفظوا كلمتي والتزموا بوصاياي و"**احملوا نيري عليكم وتعلموا مني**" (مت١١:٢٩) ليجعلوا لحياتهم جدوى وينقذوها من الموت، مستعداً لمن يفتح الباب أن يدخل إليه ويتعشى معه أي يصير ضيفه الدائم (رؤ٣:٢٠).

+ وكما دعا الصيادين أن يدخلوا **إلى العمق** فهو يدعو كل **تلاميذه** على مدى الأجيال أن يختبروا **الحياة الجديدة** الغنية الحافلة بالاختبارات والتعامل مع كلمة الله كنور للطريق لا يُستغنى عنه، والكف عن الضحالة، وممارسات العبادة الشكلية لإرضاء الذات وتفادي التوبة، ومحاولات خدمة السيدين الفاشلة.

+ وليتذكر كل **تلميذ** للسيد والمعلم أن من شروط التبعية القبول بكل تبعات الانتساب للرب... فالخلاص من الموت وهبات الحياة الجديدة ونوال الحياة الأبدية لا ينفصل عن المتابعة اللصيقة بالرب وحمل صليبه والرضا بالتألم من أجله.

+ وكما ترك التلاميذ الأوائل كل شئ، فالمطلوب من باقي **التلاميذ**، أي سائر المؤمنين حتى آخر الأيام، أن ينكروا ذواتهم بالتخلي عن محبة أنفسهم بديلاً عن محبة الله ، ورفض الحياة الجسدية والجوائز الزائفة التي يقدمها رئيس هذا العالم لإغراء الناس

وجذبهم بعيداً عن مخلص العالم. والإخلاء سيتضمن أيضاً رفض الانشغال المُبالغ فيه بأمور الغد، وبدل المغالاة في التمتع يكون السعي لسد حاجة المعوزين اقتساماً للخيرات ومشاركة المرضى وتخفيف آلام المجرَّبين إخوة المسيح الأصاغر.

❁ ❁ ❁

نعم .. نحن كلنا **تلاميذ** أيضاً. والكنيسة التي بدأت باثنين وثمانين تلميذاً، زادوا إلى" نحو مائة وعشرين" قبل يوم الخمسين (أع١:١٥)، صارت تضم على مدى الأجيال ألوف ألوفٍ وربوات ربواتٍ من **التلاميذ والتلميذات**.

والدعوة لكل من اختبر خلاص الرب هي "**اذهب .. واخبر .. كم صنع الرب بك ورحمك**" (مر٥:١٩، لو٨:٣٩)، وللبعيدين عن ينبوع الحياة والمكتفين بالقشور هي لكي يقتربوا من المعلم ويصيروا له **تلاميذ** يتبعون خُطاه (١بط٢:٢١) ويتمتعون بشركته بعد الاغتراب الطويل.

والنصيب المبارك الذي وعد به الرب تلاميذه الأوائل هو أيضاً لكل من تبعوه: "**الحق أقول لكم ليس أحد ترك.. لأجلي ولأجل الإنجيل إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان.. مع اضطهادات، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية**" (مت١٩:٢٧-٢٩، مر ١٠:٢٨-٣٠، لو١٨:٢٨-٣٠).

# عندما يأتي الموت

## (الاختبار الأخير)

**كلما تعاودنا ذكرى شهداء كنيستنا يبهرنا كيف تعاملوا مع الموت فأقبلوا عليه غير هيابين. ونحن هنا نريد أن نتعلم منهم كيف نواجه الموت عندما يجئ.**

رغم أن الموت هو أكثر الحقائق المؤكدة فى حياتنا، وأننا جميعا ندرك أننا سنموت يوما، طال عمرنا أم قصر، إلا أن أكثرنا لا يفكر فى الموت طالما هو بعيد عنه، ولا يلتفت إليه جازعاً إلا عندما يقترب منه طاويا حياة الأهل والأصدقاء. ثم لما تمضى الأيام ويخفت الحزن تلهيه من جديد مشاغل الزمان، أفراحه وهمومه، عن الاهتمام بالموت، خاصة إذا كان فى مقتبل العمر ولا تزال الآمال شابة (رغم أن الموت لا قانون له وكثيرا ما يتجاهل منطق العمر).

## لماذا أُخفيت عنا ساعة الموت؟

ولعله من محبة الله لنا أن أخفى عنا زمان الموت ومكانه وكيفيته[1]. وذلك، من ناحية، لكى تمضى حياتنا فى طريقها فنتحمل أعباءها (كأننا نعيش أبداً) ودون أن نظل كل الحياة تحت رعبة انتظار الساعة الأخيرة فتكاد الحياة تتوقف وكأننا أحياء موتى أو موتى أحياء، ومن ناحية، لكى نحيا فى مخافة الرب: "فاسهروا إذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة" (مت٢٥: ١٢) (كأننا نموت غداً). فلا نؤجل توبتنا حتى الساعة الأخيرة فربما لا تجئ التوبة، أو ربما لا نكون وقتها مهيئين للتوبة (فالبعض يقضى ساعاته أو أيامه أو أسابيعه الأخيرة غائباً عن الوعى، وهناك من يقضى سنواته الأخيرة فاقد القدرة الذهنية)، وربما ظن بعض المستبيحين أن هذه الساعة قد تأجلت أو ربما لن تجئ. وإذا كان معلمنا بطرس الرسول يندد بالذين ينكرون المجىء الثانى إذ يقول "عالمين هذا أولاً أنه سيأتى فى آخر الأيام قوم **مستهزئون سالكين حسب شهوات أنفسهم** وقائلين أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شئ باق هكذا من بدء الخليقة" (٢بط٣: ٣، ٤)، فإن هذا الكلام ينطبق أيضاً على الذين يتجاهلون أمر الموت ويقولون مع الغنى الغبى: "يا نفسى لك خيرات كثيرة موضوعة **لسنين عديدة**" (لو١٢: ١٩)!! وهم كمن يستند إلى رصيد لا يملك منه شيئاً.

## الموت المفاجئ

ولأن الله يعرف محدودية الإنسان وقصوره وقلة حيلته فإنه كثيراً ما يعفيه من مواجهة الموت الذى يأتى عليه بغتة دون أن يدرى (كلص فى الليل) وبلا مقدمات (كالسكتة القلبية أو الدماغية، أو الحوادث المفاجئة، أو الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين وغيرها) فلا يكاد المرء هنا يتواجه مع الموت.

---

(١) وإن كان يكشف شيئاً منه أحياناً لبعض خاصته وقديسيه. كما أفصح لمعلمنا القديس بطرس عن كيفية موته (يو٢١: ١٨-١٩). وكثيراً ما ظهر الرب لقديسيه فى ساعاتهم الأخيرة لكى يبشرهم باقتراب خروجهم من هذا العالم ونهاية آلامهم التى احتملوها من أجل اسمه.

## مواجهة الموت

ولكن مع هذا قد يتواجه الإنسان مع الموت بصورة ما فى حالات أخرى.

+ إذ قد يأتى الموت فى نهاية المرض القصير أو الطويل وتكون هذه الفترة هى هبة الله للإنسان لكى يستعد للأبدية، ولذويه كى يتهيأوا لغيابه حتى يوم اللقاء.

+ أو قد يأتى مصاحباً للحروب أو الأوبئة أو المجاعات أو الفيضانات فينجو من ينجو ويصاب من يصاب ويطوى الموت الباقين. والمواجهة هنا تختلط بالويلات والمآسى وألوان الشقاء الإنسانى الذى يكشف عن نقص وقصور هذه الحياة التى شوهتها الخطية.

+ وهناك من يتواجه مع الموت بيأس، كالمنتحرين الذين فقدوا رجاءهم فى الحياة، أو من طال به المرض، أو من أفقدته الصدمة كل رغبة فى الحياة فصار همه التخلص منها دون أن يشغل باله – فى غيبة الإيمان – بما بعد الموت. وهؤلاء فى أكثر الأحيان **لا يكونون فى حالة وعى حقيقى** حتى وإن بدَوا كذلك، وإنما هم أسرى اليأس أو الألم أو الندم، ودخلوا بأقدامهم فى طريق الموت الذى رأوا فيه خلاصهم مما هم فيه وغفلوا عن المخلِّص الحقيقى شريك الآلام وواهب الحياة.

+ وهناك من يواجهون الموت تنفيذاً للعقوبة، وأكثرهم مهما كانت جسارتهم قبلاً فإنهم ينهارون تماماً فقد جاءت ساعة الحساب، وإن أمسك البعض منهم فى اللحظة الأخيرة بفرصة التوبة (كاللص اليمين).

+ على أن هناك الذين يواجهون الموت **اضطراراً** كالجنود فى ساحات الحروب. ورغم شجاعة البعض وبسالته فى مواجهة الموت فإن الأمر هنا لا يخلو من جانب **ذاتى**: فالجندى ليس أمامه إلا أن يدافع عن حياته، كما إنه يدافع عن ذويه ووطنه الكبير. وتضحيته بحياته – إن حدثت – تظل موضع تقدير الوطن وعرفانه.

## نحن والموت

وفيما يتعلق بنا فربما **يلتقى بنا الموت فجأة دون أن ندرى**، وهذه رحمة من الله للكثيرين. ومن هنا فيلزم للمؤمن أن يكون ساهراً مستعداً للموت فى أية لحظة "ها أنا

آتى كلص **طوبى لمن يسهر**" (رؤ١٦: ١٥)؛ "فلا ننم إذن كالباقين بل **لنسهر ونصحُ**" (١تى٥: ٦)، وألا تستغرقه هموم الحياة ولذاتها عن أن يكون جندياً متأهباً، طائعاً لقائد مسيرته، تائباً، ممارساً لحياة القداسة، خادماً الرب قدر طاقته.

## الرب يطأ الموت

الرب، رئيس الحياة، جاز الموت قبلنا بكل وعيه فأزال منه غُربته وخِسته **وهو الذى نزل إليه ونازله فأبطل عزته.**

وإذا كان الموت هو أجرة خطية الإنسان، فإن المسيح البار القدوس ناب عن الإنسان فى حمل آثامه وتخليصه من عقوبتها بأن تحملها هو، وكان الطريق إلى الموت يمر بالجلدات وإكليل الشوك والصليب فضلاً عن الخيانات والتعييرات واحتجاب وجه الآب. فكان الموت أليماً مهيناً:

"فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك **فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية**" (عب٢: ١٤، ١٥).

وكانت قيامة الرب هى الضربة القاضية على الموت. فها هو أخيراً مَنْ جاز الموت ولم يقدر الموت أن يحتويه، فكان أول الغالبين وباكورة الراقدين الذين سيقومون فى اليوم الأخير ينشدون معا تسبحة الغلبة والخلاص والانتصار النهائى على آخر أعداء البشر.

**فلنتذكر ساعة الموت أن إلهنا المحب قد سبقنا طوعاً إلى ذات الطريق كى يجعله معبرنا إلى المجد الأبدى، فليس غريباً فى تلك الساعة أن يتهلل الصديقون ويفرحون فقد أتت لحظة الخروج من سجن الجسد إلى رحابة انطلاق الروح.**

## الشهداء يجابهون الموت

يمثل شهداء الإيمان فى القرون الثلاثة الأولى نموذجاً نادراً ليس فقط لمواجهة الموت وإنما لاقتحامه وعدم الاعتداد به، وهم يكونون بذلك قدوتنا عند مواجهة الموت فها

هى أفواج الشباب والشيوخ والرجال والنساء، وبينهم أمهات يرافقهن أطفالهن، يسعون **بكل وعيهم** وبشجاعة الإيمان واقتداره نحو الموت، رافضين إخفاء هويتهم أو الهرب والاختفاء متجهين إلى ساحة المحاكمة الظالمة والتعرض لألوان بائسة من التعذيب الوحشى، مجاهرين بإيمانهم دون أن تهتز إرادتهم المستندة إلى نعمة القدير، ومقدمين حبهم للملك المسيح فوق مشاعر الأمومة والأبوة والبنُوَّة وحب الحياة "**ولم يحبوا حياتهم حتى الموت**" (رؤ١٢: ١١)؛ "**من سيفصلنا عن محبة المسيح** أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم خطر أم سيف.. فإنى متيقن أنه **لا موت ولا حياة**.. ولا رؤساء ولا قوات تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا" (رو٨: ٣٥-٣٩)، حتى أن البعض اعتبر إقبالهم على الموت بهذه الصورة اندفاعاً أهوج أو تهوراً نزقاً، أو نوعاً من الانتحار الجماعى!!

ولكن ما الذى يدعو الشهداء إلى هذا المصير الذى ينهى حياتهم؟ ومنهم من كانوا فى مقتبل العمر، ناجحين ومحبين للحياة. فما كان أيسر أن يعلنوا بالشفاه إنكارهم للإيمان وينفذون كل ما يُطلب منهم طالما أنه على غير إرادتهم. لكن كانت ترن فى مسامعهم كلمات الرب وهو يحذرنا فى مثل هذه المواقف ".. لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد.. **فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف به أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات**" (مت١٠: ٢٨، ٣٢، ٣٣، لو١٢: ٤، ٨، ٩). كان الإنجيل عندهم ممارسة عملية يومية، فلما جاءت ساعة الامتحان كانوا مستعدين و لم يترددوا في النزول إلي ساحة الموت. وكان إيمانهم حقيقياً راسخاً "قهروا ممالك" (عب١١: ٣٣)، وخلاصهم يقيناً وقد أمسكوا بالحياة الأبدية (١تى٦: ١٩، ١٢). فكيف يبيعون ما يفنى بما لا يفنى؟ "**ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه**" (مت١٦: ٢٦، مر٨: ٣٦، لو٩: ٢٥) "**ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى بل إلى التى لا تُرى لأن التى تُرى وقتية أما التى لا تُرى فأبدية**" (٢كو٤: ١٨)، "**جاهد جهاد الإيمان الحسن وامسك بالحياة البدية التي إليها دعيت**" (**اتي٦: ١٢**).

ها هى جماعة تجابه الموت لا اضطراراً كجنود الميدان ولا انتحاراً كاليائسين من الحياة [٢] ولا استسلاماً كغالبية البشر، **وإنما اقتحاماً واعياً غير هياب واختياراً فرحاً لموت هو بابهم المفتوح على الأبدية**، يفضلون الموت النبيل على إنكار الإيمان فيصيرون لكل الأجيال مثلاً وللكنيسة نجوماً ينيرون ليلها كلما داهمتها المخاطر. وإذا كان الشهيد قد أعلن شهادته بالدم المسفوك فإن شهادتنا هي إعلان إيماننا بالفعل والقول أمام العالم الذي يحاصرنا ويضغط علينا كي ننهار وننسلخ عن تبعيتنا للمسيح.

وإذا اقترن موتنا بمواجهة شبيهة بما اختبره الآباء فها هو الطريق الذى لا طريق غيره، وها هى سحابة الشهود (عب١٢: ١) يسندون جهادنا ويرافقوننا بأرواحهم عند الرحيل.

## اعتبارات هامة

+ إن الذين يحبون الله بالفعل ("**من كل قلبك**" لو٢٢: ٣٧) لن يحبوا هباته أكثر منه. ومن أجله يقبلون بالشكر كل ألم وكل اضطهاد وفى النهاية الموت. ويعتبرون كل ما يقدمونه نفاية من أجل أن يربحوا المسيح (فى٣: ٧،٨). فلنختبر محبتنا لله، لأنها إذا تراجعت سيصعب علينا التخلى عن الحياة لقبول الموت.

+ لا يغلب قوة الموت إلا قوة الحياة الأبدية فينا التى نلناها بالإيمان الحى بالمسيح المخلِّص "**القيامة والحياة**" (يو١١: ٢٥) الذى واجه الموت جهارا بإرادته "لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً" (يو١٠: ١٨)، وحدد مسبقاً يوم المواجهة ويوم الانتصار "أن ابن الإنسان ينبغى أن يتألم كثيرا ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم" (مت١٦: ٢١، مر٨: ٣١، لو١٨: ٣٢، ٣٣). **فالمؤمن بالفعل قد انتقل من الموت إلى الحياة** (يو٥: ٢٤) وتطلعه إلى الأبدية وتوقه الدائم إليها يجعلانه لا يهاب الموت الذى يصير الجسر المؤدى إلى الملكوت.

---

(٢) أو مثل من يسمونهم "بالاستشهاديين" الذي يفجّرون أنفسهم وسط من يعتبرونهم أعداءهم تحت دوافع سياسية أو دينية.

+ إن جانباً من قوة الموت يكمن فى مفاجأته المفزعة للغافلين عند ساعتهم الأخيرة. أما المؤمن الحقيقى فإنه لا يحيا غافلاً حتى يفاجأ بالموت فى نهاية الأيام، بل الموت عنده اختبار يومى حيث تصير حياته موتاً بلا انقطاع وذبيحة دائمة تنتهى على فراش الموت[٣] "**إننا من أجلك نُمات كل النهار قد حُسبنا مثل غنم للذبح**" (رو٨: ٣٦). "**حاملين فى الجسد كل حين إماتة يسوع لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا لأننا نحن الأحياء نُسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع حتى تُظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا المائت**" (٢كو٤: ١٠-١١).

+ يرتبط باختبار الموت اليومى، الموت عن محبة العالم ورفض الخطية المسببة للموت "**من يُهلك نفسه من أجلى ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها**" (مر٨: ٣٥)، "إن كنتم بالروح **تميتون أعمال الجسد** فستحيون" (رو٨: ١٣)، "احسبوا أنفسكم **أمواتاً عن الخطية** ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا" (رو٦: ١١)، "**فأميتوا أعضاءكم** التى على الأرض" (كو٣: ٥)، "أما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح **الذى به قد صُلب العالم لى وأنا للعالم**" (غل٦: ١٤)، "فالذين هم للعالم وفى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله" (رو٨: ٨)، ومواجهة الموت عندهم هى محنة العمر.

+ علينا أن نهيئ أنفسنا لقبول الموت بل ومعانقته والتآلف معه. ونجاحنا فى هذا المسعى يكشفه على سبيل المثال - **احتمال الآلام بشكر وقبول الأمراض بصبر واستسلام لمشيئة الله**. على العكس من ذلك فإن النفوس التى يتعبها المرض الطويل وتتحطم إرادتها تحت وطأة الآلام هى أبعد ما تكون استعداداً للقاء الموت.

+ يسندنا ساعة الموت **وعود المسيح وحضوره**، وكلماته لا يمكن أن تسقط: "**أنا هو.. لا تخافوا**" (مت١٤: ٢٧، مر٦: ٥، لو٦: ١٠)، "**ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**" (مت٢٨: ٢٠)، "**كن أميناً إلى الموت فسأُعطيك إكليل الحياة**"

---

(٣) عن كتاب "بذل الذات" للأب جوزيف شريفرز

(رؤ٢: ١٠).

## كلمات أخيرة

+ "**يا رب لا تُقم لهم هذه الخطية**" (أع٧: ٦٠)- القديس استفانوس أول الشهداء مصلياً من أجل راجميه.

+"**ست وثمانون سنة وأنا أخدم المسيح وشراً لم يفعل معى قط. فكيف أجدِّف على ملكى الذى خلصنى**" - القديس بوليكاربوس أسقف سميرنا (أزمير) عند استشهاده.

+ "**إننى أموت فى سبيل الله بقلب منشرح. أنا حنطة الله تطحننى أنياب الوحوش لأصير للمسيح خبزاً خالياً من كل عيب. لاطفوا بالحرى هذه الحيوانات حتى تكون قبرى ولا تدعْ شيئاً يبقى من جسدى فلا أُثقِّل على أحد بدفنى.. اسمحوا لى أن أقتدى بآلام إلهى**"- من رسالة القديس إغناطيوس الثيئوفوروس (حامل الإله) الأنطاكي إلى الكنيسة وهو فى طريقه إلى روما للاستشهاد.

+ "**فإنى الآن أُسكب سكيباً ووقت انحلالى قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعى، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضع لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً**" (٢تى٤: ٦-٨) - القديس بولس الرسول فى آخر رسائله قبل استشهاده فى روما.

❊ ❊ ❊

**نعم سيأتينا الموت يوماً.. فلنعرف كيف نموت. ولانخفق في آخر اختباراتنا.**

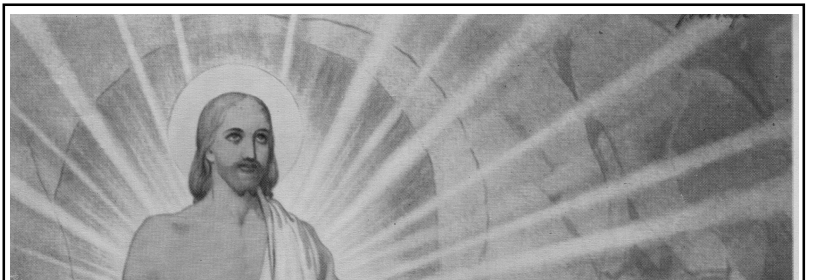

**"ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين"**
(١كو١٥: ٢٠)

# نحن وحياتنا الروحية

+ الروح القدس .. روح الحياة
+ البعد الداخلي للحياة الروحية
+ دعوة للاتضاع
+ حياة الشكر
+ الحياة في النور
+ الميل الثاني
+ الصوم المسيحي
+ انسى ولا انسى
+ المسيحي في مجتمع مضاد
+ شباب خارج الأبواب

# الروح القدس .. روح الحياة

الروح القدس هو عماد حياتنا الروحية وقائدها الفاعل فيها. هو روح الإيمان والقداسة والحق والقوة والمحبة والفرح والسلام والعفة.. روح الكرازة والخدمة. وهو المُلهم لكل ما هو فاضل وجليل وصيته حسن. هو ضابط الضمير ليظل دومًا منحازاً إلى الحق.. عند إخفاق الضمير في الالتزام بالنهج الإنجيلي والتبعية اللصيقة لشخص الرب فإن الروح القدس يحثه ليقر بضعفه ويمنحه شجاعة الاعتراف بالخطأ ويوقفه منحنياً أمام قداسة الله تائباً مترجياً الغفران ليتابع مسيرته كابن لله لا يعرف غيره إلهاً ومخلصاً.

الروح القدس يسكننا منذ يوم معموديتنا عندما شاركنا المسيح موته وقيامته ووُلِدْنا من جديد صائرين هياكل لله (١كو ٣:١٦، ٦:١٩، أف ١٢:٢١، ٢٢)، وأعمالنا وعبادتنا هي ثمار عمله فينا (في ٢:١٣). وهو مصدر العزاء والرجاء والمساندة وقت الآلام والحصار (يو ١٤:٢٦، ٢تس ٤:١٦، ١٧)، وهو المعلم من خلال كلمة الله، وهو الذي يبارك العمل والتعب والخدمة وطاعة الله.

**إنه بالفعل روح حياتنا الروحية.**

على أن هناك ضرورة لمشاركة الروح عمله (**نحن عاملان مع الله** – ١كو٣:٩). وكما يقول الكتاب، فالعرس دائماً مستعد أما المدعوون فقد لا يكونوا مستحقين (مت٢٢:٨). فهناك شرط التجاوب والترحيب بالضيف الإلهي العظيم والتحالف معه (إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه – رؤ ٣:٢٠)، والتحفظ من أن يكون المرء متظاهراً مرائياً وإنما منحصراً فيه بالقلب والعقل، لأنه فاحص القلوب والكلى "**وليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شئ عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا**" (عب ٤:١٣).

## اسلكوا بالروح

على ضوء ما سبق، لا يبدو غريباً إذاً أن يطالبنا الكتاب أن نسلك بالروح، تأكيداً على مسئوليتنا وإرادتنا ودورنا عن عمل الروح القدس داخلنا. فرغم أن الدور الإلهي هو الغالب إلا أن مشاركتنا مع الله ضرورية (كم مرة أردت أن ... **ولم تريدوا** – مت٢٣:٣٧، لو١٤:٣٣؛ **أتريد** أن تبرأ – يو٥:٦)؛ وإلا فما معنى المجازاة إذا كن مجرد متلقّين لادور لنا ولا مسئولية.

فطالما أن هناك فرزاً وحساباً في اليوم الأخير، ومصائر تتباين بين المؤمنين وغير المؤمنين فلا مفر إذاً من أن يكون لنا موقف محدد : فإما إسهامنا الإيماني وجهادنا وقبولنا وتوبتنا المتواترة وإما رفضنا ومقاومتنا للروح.

هكذا نفهم وصية "**اسلكوا بالروح**" حيث يظل الروح هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل (في ٢:١٣). وفي ذات الوقت فتجاوبنا كحلفاء طائعين للروح يجعلنا كأننا "**نحن**" الذين نسلك ونعمل بالروح !

## تحقيق الوصية

إذا أردنا أن نفصّل بعض الشئ ما ينبغي أن يكون عليه موقفنا عند الاستجابة لوصية تأمرنا أن نسلك بالروح؛ رغم أنه من الواضح أننا لا نستطيع نحن بذاتنا وجهدنا الشخصي أن نسلك بالقداسة أو حتى أن نعمل عملاً صالحاً واحداً؛ كما إنه بإزاء الوصية "**فتكونون قديسين**" (لا ١١:٤٥، ٢٠:٢٦، ١بط ١:١٥) لا نستطيع

أن نكون قديسين بأنفسنا لأن القداسة هي عمل الروح القدس. وحتى نقطة البداية وهي نعمة الخلاص والإيمان بالمخلص فهذا ليس منا ولكنه عطية الله (أف ٢:٨).

**هذا هو معنى أن نسلك بالروح:**

**+ أن ندع الروح يعمل فينا** ، فالسلوك بالروح هو نتيجة تلقائية لعمل الروح في الإنسان الباطن، وكل عمل صالح هو أحد ثمار روح الله الساكن فينا؛

**+ أن نلتزم بتوجّهات الروح**، وهذه تبيّنها كلمة الله في الكتاب المقدس. فطاعة الوصية ومحبتها وتصديقها ورفض كل صوت وعمل لا ينسجم معها هو ضمان لاستمرار عمل الروح فينا؛

**+ أن نهئ جواً صحياً لانتعاش الروح.** فالسلوك الروح يقتضي الحياة في جو روحي بدوام الصلاة والتسبيح ورفض الخطية والالتزام بالتوبة، وشركة الأسرار المقدسة، والاشتراك في الاجتماعات الروحية. إن حياتنا الروحية تختنق في الأجواء الشريرة وتضمحل بإهمال عشرة الله؛

**+ ألا نقاوم الروح** (أع ٧:٥١). لأنه إذا كان مفترضاً أن ندع الروح يتحرك، فبالأوْلى ألا نقاوْم عمله ونرفض صوته بل أن نطلب منه أن يُخضع إرادتنا له؛

**+ ألا نحزن الروح** (أف ٤:٣٠) بتكميل الخطية بدل الرجوع عنها، بعصيان الروح بدل طاعته، بالوجود وسط الأشرار بدل أن نعتزل أجواء الفساد، بالفتور وعدم الجهاد بدل التصدي لميول العالم الحاضر؛

**+ ألا نطفئ الروح** (١تس ٥:١٩) باستمرارنا في تجاهله بل ومقاومتنا وعصياننا لإرادته، وارتدادنا لمحبة العالم وشهوة الجسد وتعظم المعيشة، وانشغالنا بجمع المال واحتقارنا للحياة الأبدية.

❊ ❊ ❊

وصوت الله يقول منذ القديم "**قد جعلت قدامك الحياة والموت والبركة واللعنة. فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك**" (تث ٣٠:١٩، ٢٠).

**فلنختر الحياة .**

# البعد الداخلي للحياة الروحية

## ( العذراء مريم كنموذج )

الكتاب المقدس لا يتحدث كثيراً عن العذراء أم الله، ولا يرد ذكرها إلا فى أحداث الميلاد ودخول الهيكل والهروب إلى مصر وسعيها للبحث عن ابنها وهو يجلس بين المعلمين ثم فى عرس قانا الجليل، وأخيرا عند الصليب والقبر، وفى العلية مع التلاميذ.

ولا يذكر الكتاب من كلماتها سوى جملتيها القصيرتين مع الملاك "كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلا "، "هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك"(لو١: ٣٤، ٣٨)، وأنشودتها العذبة أمام أليصابات (لو١: ٤٦- ٥٥)، وكلماتها المعبرة عن القلق عندما وجدت ابنها الصغير الغائب. " يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا. هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين"(لو٢: ٤٨)، ثم جملتيها القصيرتين فى عرس قانا الجليل (يو٢: ٣،٥).

**هذه هى العذراء القديسة ، الملكة الحقيقية ، أم النور الحقيقى، والدة الإله ، السماء الثانية ، الشفيعة الأولى، المملوءة مجدا،**

**الممتلئة نعمة، أم الرحمة والخلاص، والتى اختارها الله من بين كل البشر لتكون أما لمخلص العالم- الله الابن** - ويأخذ منها جسدا وتحمله جنينا فى أحشائها، وطفلا ترضعه وتحتضنه وتربيه وتكون أقرب الناس إليه لسنوات طويلة.. ولكنها مع هذا كله، وحسب التقاليد السائدة*، لم تتجاوز مكانها خلف ابنها، ولم تترأس، ولم تتقدم، ولم تتكلم كثيرا، ولم توجّه رسالة، ولم تسع للمكان الأول. **فقط كانت تحفظ كل المشاهد والمواقف التى لا تُصَّدق فى ذهنها تتأمل فيها** (لو٢: ٥١) **وتحفظ كل الكلمات متفكرة بها فى قلبها** (مت٢: ١٦، لو٢: ١٩).

**فنشاطها الروحى** كان متجها إلى الداخل، إلى القلب والعقل ، لا إلى الأفعال الخارجية والنشاط الظاهر.. وها هى العذراء **تكشف لنا أن هذا البعد الداخلى الخفى للحياة كلها هو البعد الأعمق والأصدق والأهم، وهو الأصل الحقيقى لكل نشاط ظاهر**. وأنه بقدر جهدنا فى البناء الداخلى بقدر ما يكون الثمر والعطاء والنشاط الخارجى الإيجابى.

ونحن نصلى إلى الله متشفعين بأمه العذراء القديسة ليعطنا أن نتأمل فى تطبيقات هذا البعد الداخلى فى المحاور التالية :

**فى الحياة المسيحية عموما ؛ فى العبادة والسلوك والخدمة ؛ فى الهزائم والسقوط؛ وفى تقييمنا للأمور والأشخاص .**

## أولاً: فى الحياة المسيحية عموما

**+ نحن مدعوون فى المسيح أن نولد من جديد، من فوق، من الروح** (يو٣: ٣، ٧،٨) **ونكون خليقة جديدة في المسيح يسوع** (٢كو٥: ١٧).

* "لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تعلّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء. وآدم لم يُغو لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدّي. ولكنها ستخلص بولادة البنين إن ثبتْن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل" (تي٢:١١-١٥).

حياتنا المسيحية تبدأ بالإيمان بشخص المسيح كمخلص وحيد (اع٤: ١٢). ومن هذا الإيمان الحى الذى يولد فى القلب تنشأ حياة جديدة فى المسيح بالروح القدس .. وندخل فى شركة مع الثالوث الأقدس "**امتلئوا بالروح**" (أف٥: ١٨)، "**روح أبيكم هو المتكلم فيكم**" (مت١٠: ٢٠).. "**البسوا الرب يسوع**" (رو١٣: ١٤)، "**ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم**"(اف٣: ١٧)، "**مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ**"(غل٢: ٢٠)، "**لي الحياة هى المسيح**" (فى١: ٢١). هذه الشركة تبدأ فى سر المعمودية ويغذيها تناول الجسد والدم الأقدسين وقراءة كلمة الله وهى تثمر عبادة وتقوى حقيقية تدفع إلى الصلاة والصوم والعطاء والخدمة، وبذل النفس، ورفض عالم الشر والخضوع للجسد والخطية، وممارسة التوبة كل يوم وكل الحياة.

+ **فالتغيير الذى قصده الله فينا هو تغيير الداخل**: الكيان والقلب والحياة "قلبًا نقيًا اخلق فىَّ يا الله وروحا مستقيما جدد **فى داخلى**".(مز ٥١: ١٠). وبدون تغيير القلب والخروج من الذات والتحول نحو الله تكون كل الأفعال – حتى المنتسبة إلى العبادة – بلا قيمة، زائفة وآلية ولا تعبر عن حب الله. وإذا كان الإيمان بدون أعمال ميت (يع٢: ٢٠، ٢٦)، فهكذا الأعمال بدون إيمان هي أيضاً ميتة (عب ٦:١، ٩:١٤).

"من فضلة **القلب** يتكلم الفم"(مت١٢: ٣٤) ؛ "فوق كل تحفظ احفظ **قلبك** لأن منه مخارج الحياة"(ام٤: ٢٣) ؛ ".. بل إنسان **القلب الخفى** فى العديمة الفساد زينة الروح الوديع **الهادئ** الذى هو قدام الله كثير الثمن"(ابط٣: ٤).

+ **نشاطنا الخارجى هو ثمار حياتنا الروحية الداخلية فى القلب**، وجهادنا فى الداخل هو الأساس: صلاة المخدع، التوبة، العمل الخفى. انشغالنا بالباطن، اذاً، يعنى أننا على الطريق الصحيح. ومحاولة تغيير الخارج فقط دون الداخل أولا مهما بذلنا من جهد، لن يفلح فهو ناقص حتما ولن يجدى. **وكلما كان التركيز على النشاط الداخلى أولا ثم الخارجى كلما كنا على الطريق الصحيح.**

+ **حياة المسيح ورسالته وكلمة الله تدعونا إلى تجاوز الظاهر**. المسيح ظهر فى

الجسد بعض الوقت ثم أخذته سحابة وصعد إلى السماء واحتجب عن عيوننا من جديد **لكى نراه بالإيمان**. ونحن مدعوون لتجاوز كل ما نراه لأنه سيزول ونتطلع إلى المدينة التى صانعها وباريها الله (عب١١: ١٠)، "لأننا **بالإيمان نسلك لا بالعيان**" (٢كو٥: ٧)؛ "**ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لا ترى لأن التى ترى وقتيه وأما التى لا ترى فأبدية** "(٢كو٤: ١٨)؛ "**لأنه ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة**"(عب١٣: ١٤).

## ثانيا: فى العبادة والسلوك والخدمة

"لكي تكون **صدقتك** في الخفاء.. وأما أنت فمتى **صليت** فادخل مخدعك واغلق بابك وصلّ إلى أبيك **الذي في الخفاء** فأبوك **الذي يرى في الخفاء** يجازيك علانية.. ومتى **صمتم**.. لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك **الذي في الخفاء**"(مت٦: ١-١٨).

+ **العبادة فعل داخلى وجهاد فى الروح لا يقصد غير مجد الله وحده** وقد يُتَرجَم الاضطرام الداخلى إلى صلاة وتسبيح أو سجود أو صوم أو عطاء أو خدمة ولكنه يظل نابعا من إيمان قلبى وفعل الروح "**الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها**"(رو٨: ٢٦).

**كل نشاط عبادى خارجى لا يستند إلى نار داخلية وعمق "من الكثر الصالح في القلب"(مت١٢: ٣٥) لا فائدة منه وهو خداع للذات**.. وربما استند إلى الإحساس بالبر الشخصى فلا ينال شيئًا.

+ أساس تبعية المسيح **إنكار الذات** وحمل الصليب (لو٩: ٢٣) وأن تكون العبادة فى الخفاء (مت٦: ١-١٨) أى استبعاد الذات والناس من المشهد وأن تقدم إلى الله وحده.

ألوان التدين السطحى والشكلى (المظهرى) والفريسى (الحرفى) وتتميم الفرائض

وهبّات التدين المؤقت تحت وطأة الظروف الطارئة والضاغطة: كالألم والمرض والتجارب والامتحانات. هذا كله جهد لا طائل وراءه ولا علاقة له بالمسيح وإنما بالدين كممارسة موجودة فى كل الأديان "**إنى أريد رحمة لا ذبيحة**" (مت٩: ١٣)، "**تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذى هو الرياء**" (لو١٢: ١)،"**هذا الشعب يكرمنى بشفتيه أما قلبه فمبتعد عنى بعيدا**" (مت١٥: ٨، مر٧: ٦).

+ يتفق مع هذا التوجيه الإلهى بأن تكون العبادة فى الخفاء، أي مقدمة لله وحده: **الاتضاع وإخفاء الفضائل** [فالعشار خلال صلاته "لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء" (لو١٨: ١٣)، ومريم تسكب الطيب على رأس المسيح وهى صامتة (مت٢٦: ٧، مر١٤: ٣)]، **وعدم الإعلان عن أعمال الخير والبر والخدمة**، لأن هذا كله أيضاً مقدم إلى الله الذى فى الخفاء، وإعلانه على الناس قصدا هو فى الاتجاه الخطأ. كما يتفق معه أيضاً **الصمت والهدوء والتأمل والوداعة واللطف وطول الأناة وضبط النفس** "وأن تحرصوا على أن تكونوا هادئين"(١تس٤: ١١)، "الله ليس إله تشويش بل إله سلام"(١كو١٤: ٣٣).

+ **الخدمة الحقيقية هى ثمرة جهاد داخلى بالروح**. الذين يقضون الوقت فى الخدمة الآلية والنشاط الخارجى الاجتماعى والترويحى ولكن لا وقت عندهم للتأمل أو الصلاة أو قراءة الكلمة أو الاختلاء بالنفس يسيرون فى الطريق الخطأ. "مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة (ربما كانت مطلوبة ومفيدة ولكنها ليست الأهم أو لها الأولوية). **لكن الحاجة إلى واحد** فاختارت مريم النصيب الصالح الذى لن يُنتَزع منها"(لو١٠: ٤١-٤٢).

## ثالثا : فى الهزائم والسقوط

كما أن التغيير والحياة الجديدة يبدآن من الداخل، هكذا أيضاً **فالسقوط الظاهر يبدأ بهزيمة الداخل**. وكما أن الطهارة والحشمة باطنية، **فكذلك النجاسة وسائر الهزائم تبدأ فى الداخل**. وعندما يكون الداخل ملوثا عفناً يتلوث الخارج كله:

الحواس والكلام والتصرف وسائر الانفعالات.

**"لأنه من فضلة القلب يتكلم الفم"(مت١٢: ٣٤)؛ "الإنسان الشرير من كنزه الشرير(فى القلب) يخرج الشرور"(مت١٢: ٣٥، مر٧: ٢١)، " فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا ومتى كانت شريرة فجسدك كله يكون مظلما"**(لو١١: ٣٤)، "**لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا**"(مت٦: ٢١).

+ **بذرة الخطية الكبيرة فكرة (أو خطوة) صغيرة فى الداخل** "خذوا لنا الثعالب الصغار المفسدة الكروم"(نش٢: ١٥).

**ابحث عن الجذور**: فتش فى قلبك وفكرك، فى الأركان المعتمة، عن الخطايا المخبوءة (وربما المحبوبة أيضا): الذات المسيطرة، ضعف المحبة لله والقريب، محبة العالم والمال العميقة، البغضة الكامنة، السعى للمكان الأول والتسلط، الكبرياء والتعالى واحتقار البسطاء، الغيرة من تقدم الآخرين وحسدهم.

+ التوبة ليست هى الكف عن الكلام الشرير أو تفادى نظرة الاشتهاء أو مد اليد الطامعة أو عدم إظهار الكراهية دون غلبتها، **وإنما هى تجديد الحياة الداخلية واغتسال القلب** وتغيير النهج والتوجه (ميتانيا) **وإخلاء النفس** من محبة العالم والتعلق بآمال هذا الزمان: "**تركوا** كل شئ وتبعوه"(لو٥: ١١)؛ "**فتركت** المرأة جرتها ومضت"(يو٤: ٢٨).

## رابعا: فى تقييم الأمور والأشخاص

**"لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حكما عادلا"**(يو٧: ٢٤)؛ "**لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب**"(١صم١٦: ٧)؛ "**لأنه ليس عند الله محاباة**"(رو٢: ١١).

اختارت العذراء المكان الأخير، فتقدمت الجميع وصارت شفيعتنا الأولى. **وبولا** أول جميع السياح لم يره أحد أو يسمع به لمدة تقرب من القرن وذلك عندما كان يتهيأ للانطلاق ودخل اسمه التاريخ من بعد انطلاقه للفناء في الله والهروب من مجد

الناس.

فلا يشد انتباهنا ويشغلنا الذين يحتلون المواقع الأولى وحدهم بل **لتعتدل نظرتنا**. فلا يصغر فى عيوننا الذين فى المواقع المتأخرة أو المجهولون أو أصاغر الناس، فالمسيح يدعوهم إخوته (مت٢٥: ٤٠). وفى الكنيسة ربما كان الذين فى آخر الصفوف والآخرون الذين لا نعرفهم هم الأكثر قداسة " **وهوذا آخِرون يكونون أولين وأولون يكونون آخِرين**" (مت١٩: ٣٠،٢٠: ١٦، لو١٣: ٣٠). وفى رأى المسيح: **فإن العشارين والزوانى والتائبين يسبقون غيرهم من المتدينين الشكليين إلى ملكوت السموات** (مت٢١: ٣١)، **والعشار ذو السمعة الرديئة نزل إلى بيته مبررا** دون الفريسى المدقق والمغرور ببره الذاتى (لو١٨: ١٤)؛ والغنى مات ودُفن، أما لعازر المسكين **فحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم** (لو١٦: ٢٢). فلننتبه ولا نتعجل الحكم.

✳ ✳ ✳

**ولنسع نحن أيضاً إلى المكان الأخير المتوارى ونختفى وراء المسيح "ينبغى أن ذلك يزيد وإنى أنا أنقص"** (يو٣: ٣٠)، وكل من كان فى المكان الأول فليجتهد فى اختبار الموقع الأخير والانسحاب من دائرة الضوء، وقبول الأعمال الصغيرة واحترام مسئولية من هم أصغر:

**"اذهب واتكئ في الموضع الأخير"** (لو١٤: ١٠)؛ **"إذا أراد أحد أن يكون أولاً فليكون آخر الكل وخادماً للكل"** (مر٩: ٣٥) **"بل من أراد أن يكون (يصير) فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون (يصير) فيكم أولاً فليكن لكم (للجميع) عبداً"** (مت ٢٠: ٢٧، مز ١٠: ٤٣).

على أنه بالنسبة لحياتنا وعملنا فى العالم فهذا له ناموسه المختلف : الإعلان وإثبات الذات للحصول علي المكأفاة والترقي فمنه سنأخذ أجرنا (ولكن هذا لا ينفي أن الاتضاع وخدمة الآخرين يظل فضيلة محبوبة فى كل مجتمع ومن كل

الناس)؛

.. أما حياتنا الروحية فهى موجهة إلى الله وإخفاؤها عن العالم والناس أمر مطلوب لكى **تصير لله وحده** الذى يكافئ الآن وفى اليوم الأخير.. على أن المدهش أن إعلان بر وقداسة النفس المجاهدة الخاشعة وتمجيدها وتكليلها فى اليوم الأخير سيكون، **علي العكس، علنيا**: "يجازيك **علانيةً**"(مت٦: ٤، ٦، ١٨) عندما "يجتمع أمامه جميع الشعوب"(مت٢٥: ٣٢).

# دعوة للاتضاع

وهذه الدعوة يتقدم بها طرفان : **الأول ، من السماء،** هو المتضع الحقيقي وحده، **الرب الإله** الذي بإرادته ترك عرشه "**صائراً في شبه الناس.. وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب** (في٢:٧، ٨). فهو الوحيد الذي ينطبق عليه أنه "**وضع نفسه**" فعلاً وفي اتضاعه نزل من ارتفاع المجد الذي لا يستقصى إلى قاع الضعف البشري وهوانه (دون خطية الناس).

والمتقدم بالدعوة **الثاني ، من الأرض، امرأة** وُهبت أن تحتوي الرب الإله فيها متجسداً منها، ومع هذا الاختيار المتفرّد لم تنتفخ أو تتعالى على سائر البشر، ولم تتنكر لحقيقتها كمترجية للخلاص مع سائر المنتظرين، وأنه، وهي **أم الإله – ثيئوطوكوس** – لا تزال رفيقة المزدرى وغير الموجود.

المفارقة .. أن العالم عرف عن الاتضاع من صاحبة الدعوة قبل أن يعرف من صاحب الدعوة. أي عرف من "الزمني" قبل أن يعرف من "المولود قبل كل الدهور"!

## عن العذراء المتضعة

عندما جاء ملء الزمان كي يتجسَّد الابن اختار من بين كل النساء في بيت داود مريم التقية النقية المتضعة، وأهَّلها اتضاعها كي تصير **حواء الثانية** أُم الخليقة الجديدة. وإذا كان كبرياء حواء وعصيانها هو الباب الذي ولجت منه الخطية والموت إلى كل البشر، فإن اتضاع مريم كان الباب الذي عَبَرَ منه خلاص البشرية ونوالها الحياة الأبدية. وهكذا باتضاعها وطاعتها صحَّحت مريم موقف حواء ورفعت رأس كل النساء اللاتي نُسبت إليهن في القديم كل نقيصة وصرن منذ التجسُّد يفتخرن بأنهن نساء من نفس جنس العذراء أُم الله.

وبشارة الملاك وتحيته لها وإعلانه أنها وجدت نعمة عند الله، وأنها ستحبل وتلد ابن الله (لو ١: ٣٠و٣٥)، كل هذا لم يُغيِّر موقفها من نفسها أنها **أَمَة الرب** (لو ١: ٣٨). وأكثر من ذلك، أنها لما عرفت من الملاك بأن نسيبتها أليصابات حُبلى في الشهر السادس، قامت وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا لزيارة أليصابات وتهنئتها وخدمتها لثلاثة شهور، وفي تسبحتها مجَّدت الله الذي **"نظر إلى اتضاع أمته... ورفع المتضعين"** (لو ١: ٤٨و٥٢).

وهكذا قبل أن يولد المسيح واضعاً نفسه أدنى من كل المتضعين، وقبل أن يُعلِّم عن الاتضاع وإنكار الذات، مارست العذراء هذا الاتجاه المسيحي بحقِّ أمومتها للمخلِّص والمعلِّم، وواصلته في حياة الرب؛ فعاشت كل حياتها في الظل، متوارية خلف ابنها سيد الكل، حتى أن الإنجيل لا يذكرها إلاَّ مرات قليلة أبرزها عند البشارة والميلاد ودخول الهيكل بالطفل، ثم وهي تبحث عن ابنها الصبي، وعند الصليب، ومع أحداث القيامة ويوم الخمسين.

## عن المسيح المتضع

وقد كان دخول المسيح بالجسد إلى العالم، ليُخلِّصه من الموت، من باب الاتضاع بأن **"أخلى نفسه آخذاً صورة عبد"** (في ٢: ٧)، ومارسه بأصدق من كل الناس؛ فاختار صغرى مدن يهوذا لتكون محل ميلاده، وامرأة فقيرة من عامة الناس لتكون أُمًّا له، ومذوداً

للبهائم ليولد فيه، إذ لم يكن له موضع في المترل (لو ٢: ٧). وفي طفولته كان نموذجاً للطاعة: "**خاضعاً لوالديه**" (لو ٢: ٥١)، وكدح ليحصل على طعامه فعمل نجاراً مساعداً ليوسف (مت ١٣: ٥٥، مر ٦: ٣). وقَبِلَ أن يعتمد من يوحنا الذي قال إنه لا يستحق أن يحل سيور حذائه، واختار تلاميذه من بسطاء الناس، وخلال أيام خدمته لم يكن له أين يسند رأسه (مت ٨: ٢٠، لو ٩: ٥٨)، ولا هو امتلك مالاً (مت ١٧: ٧، ٢كو ٨: ٩). واحتمل إهانات أقربائه الذين قالوا إنه مختلٌّ (مر ٣: ٢١). ولم يُقابل العنف أو الإساءة بالإساءة (١بط ٢: ٢٣). وقد حاول البعض أن يرجموه (يو ٨: ٥٩؛ ١٠: ٣١)، أو يلقوا به من فوق الجبل (لو ٤: ٢٩)؛ ولكنه لم يعرف الانتقام مؤكِّداً أن "**ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليُخلِّص**" (لو ٩: ٥٦)، وأجَّل مواجهاته مع العالم حتى الصليب، حيث غلب العالم ورئيسه عندما اختطف من يده الإنسان ومصيره وأنقذه من الموت بموته وقيامته. وإذا كان الرب قد دان الكتبة والفرِّيسيين الذين قاوموه إلاَّ أنه ظل دوماً مترفِّقاً بالخطاة وقلبه فائض بالحنان على النفوس التي أذلَّها الشيطان.

وفي ليلة آلامه، ومشهد الصليب في الأُفق، فَعَلَ ما لم يتصوَّره حتى أقرب تلاميذه: قام عن العشاء وخلع ثيابه وجلس على الأرض وابتدأ يغسل أرجل تلاميذه التي غطَّاها تراب الطريق (يو ١٣: ٥)، مُقدِّماً درساً مُذهلاً في التنازل والاتضاع من أجل المحبة.

وخلال محنة المحاكمات والاقتراب من الصليب، قَبِلَ صامتاً الشتائم والتعييرات من أدنى الناس وكبارهم (إش ٥٣: ٧)، كما احتمل إنكار بطرس له والتخلِّي عنه والعالم يُحاصره، ولكنه قَبِلَ دموع توبته وشدَّده وأرسله لرعاية خرافه. وفي النهاية: "**وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب**" (في ٢: ٨).

## الاتضاع في التعليم الكتابي

+ منذ بداية الخليقة هناك قانون إلهي: "**يُقاوم الله المستكبرين، أما المتواضعون فيُعطيهم نعمة**" (يع ٤: ٢٦، ١بط ٥: ٥). فالشيطان وجنوده سقطوا بكبريائهم من النعمة، ومثلهم طُرِد آدم وحواء من الجنة. ورجال الله الأوائل كانوا نماذج في الاتضاع أمام الله. **فإبراهيم خليل الله** (يع ٢: ٢٣) يخاطب الله قائلاً: "**شرعت أكلِّم المولى، وأنا تراب**

**ورماد"** (تك ١٨: ٢٧). **وموسى** يقول لله: "مَن أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أُخرج بني إسرائيل من مصر. لستُ أنا صاحب كلام... بل أنا ثقيل الفم واللسان" (خر ٣: ١١؛ ٤: ١٠). **وداود** المنتصر يصف نفسه أنه "كلب ميت وبرغوث واحد" (١صم ٢٤: ١٤). **وأيوب** المبتلَى يقول: **"ها أنا حقير، فماذا أُجاوبك؟ وضعتُ يدي على فمي"** (أي ٤٠: ٣).

+ ويتبدَّى الاتضاع في **تعليم المسيح** ورسله ساطعاً متجلِّياً وسط سائر الفضائل. ففي صدر الموعظة على الجبل جاءت كلمات الرب تطوِّب المتضعين: **"طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات"** (مت ٥: ٣). كما أن الرب قدَّم نفسه نموذجاً للاتضاع، وحث الجميع على اتِّباعه: **"تعلَّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم"** (مت ١١: ٢٩)، ونبَّه الناس إلى اختيار المكان الأخير: **"متى دُعيت فاذهب واتَّكئ في الموضع الأخير"**، مؤكِّداً أنَّ **"مَنْ يضع نفسه يرتفع"** (لو ١٤: ١٠و١١). وفي توجيهه لتلاميذه المتنافسين على المكان الأول أقام في وسطهم ولداً وحذَّرهم: **"إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات. فمَنْ وضع نفسه مثل هذا الولد، فهو الأعظم في ملكوت السموات"** (مت ١٨: ٣و٤). وفي ختام مَثَل الفرِّيسي والعشار، حيث تمتَّع العشار المتضع برحمة الله وغُفِرَت خطاياه دون الفرِّيسي المتفاخر ببرِّه، كان التعليم: **"لأن كل مَن يرفع نفسه يتضع، ومَن يضع نفسه يرتفع"** (لو ١٤: ١١؛ ١٨: ١٤). وجعل الرب **إنكار الذات** حجر الزاوية في البناء الروحي وتبعية الرب: **"إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني"** (مت ١٦: ٢٤)، **"إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُتْ، فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير"** (يو ١٢: ٢٤). وبعد أن غسل الرب أرجل تلاميذه أوصاهم أن يفعلوا مثله مُبيِّناً أنه: **"ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مُرسله"** (يو ١٣: ١٦).

+ وفي **تعليم الرسل** يقع الحثّ على الاتضاع في الصدارة:

**"فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه"** (١بط ٥: ٦)؛ **"فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات، ولُطفاً، وتواضعاً، ووداعة، وطول**

**أناة"** (كو ٣: ١٢).

بل إن القديس بولس، رسول الأمم العظيم، لا يرى نفسه أمام برِّ المسيح إلاَّ أحد الخطاة، بل أولهم، فيكتب أن **"المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا"** (١تي ١: ١٥)، ويصف نفسه أنه **"أصغر الرسل"**، بل إنه ليس أهلاً لأن يُدعَى رسولاً، لأنه اضطهد كنيسة الله، وينسب العمل كله لنعمة الله **"ولكن بنعمة الله أنا ما أنا.. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي"** (١كو ١٥: ٩و١٠).

## ولماذا الاتضاع؟

ليس غريباً أن يُطوِّب الرب المتضعين ويجعل إنكار الذات أساس السلوك المسيحي. فالاتضاع يعني اكتشاف الإنسان لحقيقة نفسه، وإدراك عجزه وقلة حيلته أمام المرض والمحن والموت، وأنه تراب ورماد، وأن حياته بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل (يع ٤: ١٤)، وأنه بدون الله واهب الحياة لا يقدر على فعل شيء. وأنه ضعيف ويُخطئ، وأن أي فعل طيِّب يعمله ينتسب مباشرة إلى الله صانع الخيرات ومصدر كل بر، وأنه محدود القوة والمعرفة والأيام، وأن أحداً لا يملك حياته أو مواهبه أو فضائله أو صحته أو ماله أو جماله أو نسبه، وأن أحداً لا يستطيع وحده أن يفعل البر أو ينتصر على الخطية. هي كلها عطايا الله الغني.

وهكذا يُترجم الاتضاع إلى **إنكار الذات** أي عدم الاعتداد بالنفس وإخلائها، كي يصير الله هو المهيمن على الكيان دون منازع. وهكذا جعله الرب شرطاً أولياً لتبعيته، إذ بدونه ترفض النفس تبعية آخر، وبدونه لن تقبل حمل الصليب أي التألُّم من أجل المسيح، أو احتمال التجارب الداعمة للإيمان أو الجهاد ضد ميول الجسد. **ومن هنا يكون الاتضاع هو المفتاح للدخول إلى سائر الفضائل.**

على أن الأسباب التي تجعل الاتضاع الجوهرة الثمينة التي ينشد كل مؤمن أن يقتنيها، والتي تجعل كبرياء الإنسان تنكُّباً عن طريق الحق وقصوراً عقلياً وعمىً روحياً، أكثر من أن تُحتوى؛ ونورد فيما يلي أهمها:

+ فكيف يتعالى أحد على آخر، وكل البشر سواءٌ، فهم جميعاً إخوة من أب واحد وأُم واحدة؟

+ وكيف ينسى الإنسان مهما ارتفع أنه في ساعة لا يعرفها سوف يواريه التراب وسيعود هو في نهاية الأمر إلى تراب؟

+ وكيف نتجاهل أن "تعلَّموا مني" (مت ١١: ٢٩)، أي تمثَّلوا بي وسيروا على نهجي في الاتضاع، وأن ليس التلميذ أفضل من المعلِّم بل يكفي التلميذ أن يكون كمعلِّمه (مت ١٠: ٢٤و٢٥)؟

+ وإذا كان البر الذاتي يُعطِّل شركتنا في المسيح ويدمِّر الحياة كلها، فإن الاتضاع يحفظ لحياتنا الروحية سلامتها ونموها إلى آفاق أرحب، ويُحبط مؤامرات الشرير ضدنا، فإبليس لن يجد طريقاً إلى النفس المتضعة المحتمية بإيمانها في قوة القدير.

+ يكفي أن الله الذي يُقاوم المستكبرين هو قريبٌ من المتضعين والمنكسري القلوب، يُخلِّصهم ويشفيهم ويجبر كسرهم (مز ٣٤: ١٨؛ ١٤٧: ٣، لو ٤: ١٨)، ويُعزِّيهم (٢كو ٧: ٦)، ويُعطيهم نعمة (يع ٤: ٦، ١بط ٥: ٥). كما أن مَن يتضع يرتفع، فالانحناء للدخول من الباب الضيق إلى الطريق الكرب هو السبيل المؤدِّي إلى الحياة الأبدية.

+ وإن دخول المسيح إلى مجده كان من باب الاتضاع "**لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب. لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مِمَّن في السماء ومَن على الأرض ومن تحت الأرض**" (في ٢: ٧-١٠).

+ وإن العذراء المتضعة رُفعت إلى السماء، وصارت في الكنيسة الشفيعة الأولى، ويجيء ذِكرها في مقدمة مجمع القديسين: "**وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً العذراء كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم التي ولدت الله الكلمة بالحقيقة**".

## الاتضاع نبع الفضائل

يُجمع القديسون على أن الاتضاع هو نبع الفضائل، أي أنه أساس قيام سائر الفضائل

ونموها:

+ وفي المقام الأول، فإن ممارسة **محبة الله والقريب**، وهي أولى وأعظم الوصايا وبها يتعلّق الناموس كله والأنبياء (مت ٢٢: ٣٦-٣٩، مر ١٢: ٣٠و٣١، لو ١٠: ٢٧)، والتي يصفها معلِّمنا بولس الرسول بأنها **رباط الكمال** (كو ٣: ١٤) و**تكميل الناموس** (رو ١٣: ١٠)، هي مهمة مستحيلة دون اتضاع النفس وإنكار الذات. فلا يمكن للمنحصر في ذاته أن يهتم بآخر، فضلاً عن أن يحبه ويبذل نفسه من أجله (يو ١٥: ١٣). والذي لا تشغله محبة الآخر الذي يبصره، كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره (١يو ٤: ٢٠)!

+ كما أن اتِّباع الرب **والإيمان به** يقتضي إدراك أن النفس خاطئة ومحتاجة إلى المخلِّص، وهكذا تنجذب إلى برِّه وقداسته. هكذا رأينا بطرس في لقائه الحاسم مع الرب. فبعد صيد السمك الكثير، صرخ بطرس قائلاً: "اخرج من سفينتي يا رب **لأني رجل خاطئ**" (لو ٥: ٨)، ولأنه كان صادقاً في شعوره فقد ترك كل شيء وتبعه. وبدون هذا الشعور بالاحتياج الذي يُغذيه الاتضاع يظل الإنسان تائهاً يتخبط في الظلام وتفلت منه فرص التوبة والنجاة.

+ وبدون الاتضاع يعسر على الشخص الخاطئ **أن يعتذر أو يطلب المغفرة**، لأنه يظل دوماً باراً في عيني نفسه. كما يتعذر - حتى على المؤمن - أن **يسامح** أو **يغفر وينسى** إن لم يكن الاتضاع أصيلاً في بنيانه الروحي.

+ الاتضاع هو أساس **العبادة المقبولة**. فصلاة العشار المنسحق المعترف بخطيئته، دخلت إلى محضر الله ونال الغفران. **وطاعة الوصية** أمامها العقبات إن لم تستند إلى قوة الله، **والصوم** وما يتضمنه من تعفُّف وتقشف ونسك وتوبة وانسحاق وجهاد وصبر لا ينجح إلاَّ بالاتضاع.

+ بغير الاتضاع تُختزل العبادة كلها في ممارسات شكلية مظهرية تخلو من الحب والالتزام ولا تقصد غير إرضاء الناس والذات، فتتضخم ويزداد الشعور بالبر الكاذب. **وعملياً فإن عبادة بدون اتضاع هي في الحقيقة تُكرِّس البُعْد عن الله.**

+ الاتضاع مطلوب كي نشعر بـــاحتياجنا **لكلمة الله** ومعرفتها ودراستها واللهج فيها بما يؤدِّي إلى النمو في معرفة الله وأصول الحياة الروحية. فـــالمكتفون المعتـــزُّون بمعرفتهم، الضائُّون بوقتهم على قراءة الكلمة، يحرمون أنفسهم من نـــور معرفـــة الله ويفقدون في مسيرة حياتهم السراج والسياج.

+ الاتضاع هو أساس **الخدمة** المثمرة الناجحة التي تقصد مجد الله، وفيه لا يصير البذل من أجل الآخرين عبئاً ووهقاً، وإنما بركةً وفرحاً. وكل جهد يؤول حتمـــاً إلى **"تعب المحبة"** الذي لا يُنسى قدَّام الله (عب ٦: ١٠).

+ وفي الاتضاع **تُقبل الآلام من أجل المسيح** دون تذمُّر أو دمدمة: **"أألخير نقبل من عند الله، والشر لا نقبل"** (أي ٢: ١٠). ويصير **احتمال الاضـــطهاد** بـــسبب الإيمان أمراً واجب **الطاعة**: "إن كانوا قد اضطهدوني فسيـــضطهدونكم" (يـــو ١٥: ٢٠)، وتصير كل الوصايا التي تتطلَّب **التغصُّب وضبط النفس** قابلة للتنفيـــذ بكـــل رضى، ومعها ينمو **الصبر والاحتمال وطول الأناة وبطء الغضب**.

+ وكما علَّمنا القديسون: فلا يقهر إبليسَ ومؤامرته ضدنا، والحروب التي يستغل فيها ضعف جسدنا؛ غير اتضاعنا، الذي يعني أننا قد وضعنا كل ثقتنا واتكالنا، لا على أنفـــسنا وتقوانا، وإنما على الذراع الرفيعة لإلهنا الغالب دوماً القادر وحده أن يصلب فينـــا كـــل الأهواء والشهوات (غل ٥: ٢٤).

+ **وفي الحياة الزوجية**، فإن الاتضاع هو عماد التآلف، وفيه ينضبط الغـــضب ويتأصَّل **التسامح** وتصير النفس قادرة على **الغفران: "كما غفر لنا المسيح"** (كو ٣: ١٣)، ونسيان الإساءة كأن لم تكن، فتتوطد العلاقة وتنمو **المحبة** مع كل يوم. وعلى العكس، فعندما يغيب الاتضاع يتوارى الاحتمال ويحل الشقاق، ومع كل يوم يتعمَّق الاختلاف ويسود التباعُد ويتهدد العلاقة الانهيار.

+ **وفي الجانب السلوكي**، فإن الاتضاع هو الأرض الخصبة لنمو العديد من الصفات التي تجمِّل النفس وترتقي بها. فتتسم نفس المتضع بالوداعة واللطف والهدوء، وبالحلم وضبط النفس، وبالاحتشام في المظهر وبالتجرُّد وبساطة الحياة، والنفور من الطمع والترف وتعظُّم

المعيشة، وسهولة التعامل مع الغير واكتساب حبهم، وإذا مال إلى المرح ففي غير ابتذال أو صخب. والمتضع دائماً يُقدِّم غيره، ويتجاهل المديح والكرامة، ويقبل النقد والتوجيه باتساع قلب. وفي وقت التجارب والآلام يعرف أن يشكر الله لا أن يشكو ويئن ويندب حظه، وهو لا ينحصر في همومه الذاتية، بل هو مستعد دوماً لمساندة المتضايقين وتعزيتهم فينال التعزية هو أيضاً.

+ وإذا كان الاتضاع يبدأ بإدراك قصورنا وضعفنا وخطيئتنا أمام كمال الله وقوته وقداسته، فإن نمونا فيه يُديم علينا نعمة الله، ويُعمِّق شعورنا بأن حضور الله في حياتنا هو سر تقدُّمنا وانتصارنا.

## كيف نبلغ إلى الاتضاع؟

ولا نقصد كيف نتخذ هيئة الاتضاع (فما أسهل التظاهر بالتقوى – ٢تي ٣: ٥)، **لأن الاتضاع كالسجود ينبغي أن يكون بالروح والحق.** وهو لن يأتي بالاستماع أو القراءة عنه، وإنما باختباره وممارسته. ومظاهر المتضع الخارجية إذا كانت حقيقية، هي ثمار فعل روحي باطني (وليس فعلاً ذاتياً) يعمله الروح القدس (غل ٥: ٢٢)، ولن ننالـه إلاَّ عندما نطلبه منه بتوسُّل شديد. وأول ما سوف يعمله الروح هو أن يُسلِّط نوره على حياتنا، فنكتشف قصورنا ومحدوديتنا وعجزنا، ونتعرف على نقائصنا وعيوبنا ونقاط ضعفنا وكبريائنا المستترة خلف ستار الرياء والزيف.

وسوف يتعيَّن علينا أن نقبل خطة الله لتحطيم كبريائنا بكل وسيلة يختارها سواء بالألم أو المرض أو التجارب أو الخسائر، ليُنْهي بالتوبة وتسليم الحياة اعتمادنا على ذواتنا أو علي غيرنا أو على العالم وأشيائه، ويُحوِّل ثقتنا إليه كضابط للكل وقادر على كل شيء.

وسيسندنا في التغلُّب على كبريائنا، التمثُّل بالرب: **"ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع"** (عب ١٢: ٢)، والتطلُّع إلى حياته الوديعة (مت ١١: ٢٩)، وإلى حياة قدِّيسيه: **"تمثَّلوا بإيمانهم"** (عب ١٣: ٧)، متحوِّلين من حياة يُقاومنا فيها الله إلى حياة نتمتع فيها بنعمة الله ومساندته (يع ٤: ٦)، ويصير الاتضاع عنصراً أصيلاً في كياننا الروحي ينمو ويتعمَّق كل الحياة.

## ملاحظات أخيرة

+ لكي نستكمل صورة هذه الفضيلة المحورية في حياة المؤمنين، نرى لزاماً أن نشير إلى أن الاتضاع لا علاقة له بصغر النفس، أو ضعف الشخصية، أو غياب الطموح والتقدُّم، أو الانسحاب من الحياة، أو التردُّد في أداء الواجب وخدمة العالم؛ فهذه أمراض نفسية واجتماعية يبرأ منها الروحيون المختبرون للإيمان المسيحي.

+ وبالأَوْلَى، فالاتضاع، تلك النعمة الإلهية التي يدعونا الرب إليها، لا علاقة له بسلوك ضعاف النفوس من الجُبن والتخاذل والهروب من المواجهة مع العالم المقاوِم. وإذا كان من الطبيعي أن يكون المتضع هادئاً محتملاً في الأحوال العادية، إلاَّ أنه في مثل هذه المواقف فإنه – مستنداً إلى قوة الله ومساندة النعمة – يتخلَّى عن هدوئه واحتماله، يدفعه التزام الإيمان مستخدماً ما أودعه الله فيه أيضاً من غيرة وصرامة وحسم.

وها هو الرب، وهو يُحاكَم وفي طريقه إلى الصليب، يقف صامداً قوياً أمام جلاَّديه وصالبيه ولا يتفادى الموت، وعلى نهجه كان إيليا أمام أخآب (١مل ١٨: ١٨؛ ٢١: ٢٠-٢٤)، والمعمدان في مواجهة هيرودس (مت ١٤: ٤، مر ٦: ١٨)، وبطرس أمام المجمع (أع ٥)، وبولس في أريوس باغوس وأمام قائد المئة والوالي فستوس والملك أغريباس (أع ٢٢ و٢٥ و٢٦)، وسائر الشهداء ساعة الموت.

+ كما أن الاتضاع لا يتعارض مع الكرامة الإنسانية والدفاع عنها أمام مَن يريد سحقها، كأولاد لله وخليقته الأثيرة، ولا يُنافي قول الحق والدفاع عنه دون خوف، وإن كان سيضمن أيضاً أن يشهد المؤمن للحق ضد نفسه هو إذا انسبق في زلة ما؛ كما سيضمن ألاَّ يقترن دفاعه عن الحق بالتهجُّم أو عثرات اللسان.

+ وهو لا يتنافى مع قيام المؤمن بمهام الرئاسة والقيادة والحُكْم والقضاء والتربية والتأديب وحماية المجتمع والدفاع عن الوطن. ولكن في هذه كلها يبقى أميناً ولن يستخدم سلطانه لحسابه هو، ولن يتجاوز وصية الله، ولن ينسى أنه أيضاً تحت قيادة الله وسلطانه وتأديبه: **"عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً في السموات، وليس عنده**

**مُحاباة"** (أف ٦: ٩).

❋ ❋ ❋

هذه دعوة للاتضاع من الرب وأمه العذراء.

وإذا كان الكتاب يقول إن: **"مَن لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة"** (١يو ٤: ٨)، فإنه يمكن القول أيضاً **إن مَن لا يتضع لم يعرف الله، لأن الرب وضع نفسه وطلب أن نتعلَّم منه الوداعة واتضاع القلب، فنجد راحة لنفوسنا.**

ولنسلِّم نفوسنا لعمل الروح متقدِّمين بثقة إلى عرش النعمة: **"كي ننال رحمة ونجد نعمة، عوناً في حينه"** (عب ٤: ١٦).

# حياة الشكر

لا شكَّ أن تقديم الشكر لله هو أحد أركان الحياة الروحية في العهدين القديم والجديد* ، وهو علامة الإيمان الحيّ وتسليم الحياة لله، كما أنه مؤشر على نمو الشركة مع الله صانع الخيرات.

## المسيح يُعلِّمنا

ها هو السيد أيام تجسُّده كان يُمارس هذا الاتجاه مُقدِّماً الشكر للآب في كل مناسبة، فيقول: "**أحمدك أيها الآب** رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن

* احتفالات الشكر تقليد إنساني قديم بدأه المصريون واليونانيون والصينيون الأوائل ابتهاجاً بوفرة المحصول. وكان المصرون يقدمون احتفالهم في الربيع لإله الزراعة والخصب **من** Min.
وفي القرون المتأخرة تم إحياء احتفالات الشكر في أمريكا الشمالية وبدأها المهاجرون الإنجليز (١٦٢١)، وفي ١٧٨٩ اعلن الرئيس جورج واشنطن يوم ٢٦ نوفمبر (وفيما بعد صار الخميس الرابع من نوفمبر) **عيداً قومياً للشكر**، وانتقل بعدها إلى كندا (وإنما يُحتفل به في أكتوبر).
ورغم ما يصاحب الاحتفال بعيد الشكر من طقوس في الطعام (مثل الديك الرومي وغيره) إلا أنه يتميز باجتماع كل أفراد العائلة معاً والاشتراك في صلاة شكر لله على نعمه الكثيرة.
وسيكون توجُّهاً صائباً أن تتبنى كنيستنا في المهجر هذا العيد بفكرته النبيلة كممارسة تقوية وأن تضفي عليه بخبرتها الأبائية لمسة روحية أعمق تتجاوز دائرة الطعام والشراب والرواج التجاري.

الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال" (مت ١١:٢٥). فالشكر هنا لأن ملكوت الله يقترب، وها هو المخلِّص بين الناس، وها هو الرب يكشف أسراره للبسطاء الذين قبلوه.

وفي معجزة **إشباع الجموع** (مت ١٥:٣٦، مر ٨:٦، يو ٦:١١)، وعند تأسيس **سر الإفخارستيا** (مت ٢٦:٢٧، لو ٢٢:١٧)، فإن الرب **"شكر وبارك"**. وعند إقامة لعازر رفع يسوع عينيه إلى فوق قائلاً: **"أيها الآب، أشكرك** لأنك سمعت لي" (يو ١١:٤١). فالمسيح يدعونا أن نشكر الله على عطاياه السابقة واللاحقة: **"مراحمه لا تزول، هي جديدة في كل صباح"** (مرا ٣:٢٢و٢٣). وبعين الإيمان نرى استجابته الآتية، حتى ولو تأخرت، وحتى لو كانت بالرفض. فالله المُحب يرفض من طلباتنا ما لا يُناسبنا، أو ما كان منها ضدًّا لنا ونحن لا ندري.

## وكلمات الكتاب تعلِّمنا

فالوحي الإلهي على لسان كاتب المزامير يحثنا أن **"احمدوا** الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته" (مز ١٣٦:١). ومعلِّمنا بولس الرسول عندما أخذ خبزاً **"شكر الله** أمام الجميع، وكسَّر، وابتدأ يأكل" (أع ٢٧:٣٥). وقد كتب إلى أهل فيلبِّي يقول: "لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع **الشكر**، لتُعلم طلباتكم لدى الله" (في ٤:٦)، كما كتب أيضاً إلى أهل أفسس يقول: **"شاكرين كل حين على كل شيء** في اسم ربنا يسوع المسيح، لله والآب" (أف ٥:٢٠). **فالصلاة تكون مع الشكر، واللقمة تؤكل مع الشكر، وأن يكون الشكر كل حين وعلى كل شيء.**

ولا يفتأ بولس الرسول يقدم الشكر لله على اختياره وعلى مساندته لخدمته وعلى قبول الأمم للإيمان "وأنا **أشكر المسيح يسوع ربنا** الذي قوَّاني، أنه حسبني أميناً، إذ جعلني للخدمة" (١تي ١:١٢)، **"أشكر إلهي** بيسوع المسيح (في كل حين) من جهة جميعكم أن إيمانكم يُنادَى به في كل العالم" (رو ١:٨، ١كو ١:٤، ١تس ١:٢)، **"أشكر إلهي** عند كل ذِكْري إيَّاكم" (في ١:٣)، **"نشكر الله** وأبا ربنا يسوع المسيح كل حين، مُصلِّين لأجلكم، إذ سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع" (كو ١:٣و٤). فخادم

الله يشكر الله الذي اختاره للخدمة، وهو إذ يشعر بعمل الله في خدمته يُقدِّم شكراً لله الذي يُخلِّص ويُبارك ويُنمي ويستخدم خدمته وإمكاناته القليلة، فيُثمر بها الكثير.

## والكنيسة تُعلِّمنا

**فصلاة الشكر** هي بداية كل الصلوات، سواء أكانت صلوات السواعي، أو القدَّاس (الحافل بكلمات الشكر)، أو سائر الأسرار، وحتى عند الصلاة على الراقدين. فالنفوس المؤمنة التي أسلمت قلبها لله، والتي تثق في محبة الله وكمال تدبيره وأن كل ما يعمله هو للخير، تُقدِّم له الشكر على كل حال.

و"**التسبحة**" وهي تفيض بآيات الشكر، تتغنَّى بها الكنيسة مُسبِّحة مع الملائكة، الذين رآهم القديس يوحنا واقفين حول العرش ساجدين قائلين: "البركة والمجد والحكمة **والشكر** والكرامة والقدرة والقوة لإلهنا إلى أبد الآبدين" (رؤ ٧:١٢)، ويُشاركهم الشكر أيضاً الأربعة والعشرون قسيساً قائلين: "**نشكرك** أيها الرب الإله القادر على كل شيء" (رؤ ١١:١٧).

## والتقاليد والأعراف تُعلِّمنا

فمن التقاليد القبطية أن الشخص بعد أن يتناول طعامه يقول: **الحمد لله**. كما أن كثيرين في المجتمع القبطي (والمصري عموماً) عندما يُقدَّم لهم شكرٌ على خدمة ما، يتعفَّفون عن قبوله بقولهم: "**لا شكر على واجب**" أو "**الشكر لله**"، باعتبار أن الأمر من قبل ومن بعد يعود إلى الله، فهو الذي أعطى وسمح ودفع إلى فعل الخير، وهو بالتالي مَن يستحق الشكر.

وفي المجتمعات المتحضرة صارت كلمة الشكر تلقائية بعد كل عمل أو خدمة أو لفتة مهما كان حجمها. إن كلمة الشكر تعني أن النفس رقيقة المشاعر قد التقطت فعل الخير وأدركته. ونحن مدينون بكلمة أو التفاتة الشكر أمام أية بادرة للخير. **والذين صار شكر الله عندهم قانون الحياة، يسهل عليهم شكر الآخرين على خدمتهم وأتعابهم، صغرت أم كبرت.**

## مجالات الشكر

نحن نشكر الله على العطايا والنِّعَم التي يُشاركنا فيها كل البشر فإنه "**يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويُمطر على الأبرار والظالمين**" (مت ٥:٤٥)؛ وذلك مثل نعمة الحياة، الطبيعة من حولنا المسخَّرة لخدمتنا، الصحة، المواهب، النجاح، السلامة، العائلة، المال، الطعام، الملبس... إلخ. وفي هذا يُنبِّهنا الله قائلاً: "لا تهتموا قائلين: ماذا نأكل، أو ماذا نشرب، أو ماذا نلبس؟ فإن هذه كلها تطلبها الأمم" (مت ٦:٣١و٣٢).

ولكننا كمؤمنين لنا عطايانا الخاصة التي هي أعظم بما لا يُقاس؛ مثل: **نعمة الخلاص والغفران والحياة الأبدية، الحياة بالإيمان، هبات الروح القدس، كلمة الله، نعمة العبادة والتسبيح، خدمة المسيح والتبشير باسمه والتألُّم والموت من أجله**. كل هذا مما يجعل لحياتنا قيمة حقيقية تتجاوز مجرد الوجود، فنردِّد مع صاحب المزمور: "**باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته**. الذي يغفر جميع ذنوبكِ. الذي يشفي كل أمراضكِ (الروحية والجسدية). الذي يفدي من الحفرة (التجربة) حياتكِ. الذي يُكلِّلكِ بالرحمة والرأفة. الذي يُشبع بالخير عمركِ، فيتجدَّد مثل النسر شبابُكِ" (مز ١٠٣:٢-٥).

## لماذا الشكر؟

الشكر لله هو ردّ فعل طبيعي لنفسٍ مؤمنة تُدرك أنها بالله تحيا وتتحرك وتوجد (أع ١٧:٢٨)، فتشكره على عطاياه التي لا تُستقصَى.

والشكر هو علامة الإيمان بأن **الله صالح لا يصنع إلاَّ خيراً** "**كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله**" (رو ٨:٢٨)، كما أنه **ضابط الكل** الذي "لا يدعنا نُجرَّب فوق ما نستطيع بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ" وذلك بعد تحقيق قصد الله (١كو ١٠:١٣). ومن هنا فإن شكرنا في التجارب والضيقات والآلام هو علامة **طاعتنا وتسليمنا** لِمَن هو **موضع رجائنا، وثقتنا** في حُسن تدبيره وصدق مواعيده. كما أن شكرنا لله على القليل كما نشكره على الكثير هو علامة **اكتفائنا**: "**إن كان لنا قوتٌ وكسوة فلنكتفِ بهما**" (١تي ٦:٨)، وأن سرَّ الغِنَى الحقيقي هو حضور الله في حياتنا.

**وشكر الآخرين على ما يقدِّمونه لنا من خير هو بنوع ما شكرٌ لله في شخص هؤلاء الذين دبرتهم نعمة الله لخدمتنا ومساعدتنا.** وفيما يتعلّق بنا فعلينا أن نصنع الخير ونقدِّم المساعدة دون أن ننتظر شكراً من أحد. **فالخدمة مُقدَّمة لله:** "بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، **فبي فعلتم**" (مت ٢٥:٤٠)، والله ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة مهما كان ضئيلاً: "مَن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد... إنه لا يضيع أجره." (مت ١٠:٤٢).

وإذا كان الشكر يُبهج قلب الله، إذ يرى أولاده المحبين يُبدون امتنانهم لعطاياه ورعايته لهم كل الأيام، فإنه لما يحزن قلب الله أن تتجمد مشاعر الإنسان الذي ينال العطية، ويفوته أن يمجِّد الله؛ حتى أن الرب بعد ما شفى البُرص العشرة و لم يرجع منهم غير واحد ـ وكان سامرياً ـ ليمجِّد الله، تأسَّف في قلبه قائلاً: **"ألم يوجد مَن يرجع ليُعطي مجداً لله غير هذا الغريب الجنس؟"** (لو ١٧:١٨). فالشكر فضيلة رائعة، بينما الجحود والإهمال تراجُع عن إنسانية الإنسان وتباعُده عن الله مصدر كل خير.

إن الاستخفاف بعطية الله، وأسوأ منه التذمُّر وعدم الرضا، هو إعلان عن الانفصال عن الله وفقدان الثقة في مواعيده. ونتيجته المحتومة حياة قلقة لا تعرف الراحة وتُعاني التعاسة التي تعكسها على مَن حولها. وأمامنا موقف أيوب وموقف امرأته، فبينما استطاع أيوب ـ بقبوله كل ما سمح به الله له ـ أن ينجو بنفسه متماسكةً صابرةً شاكرة، عابراً وادي الآلام، حتى نال عاقبة صبره وشُكره؛ كانت امرأته عبئاً عليه، بتذمُّرها واحتجاجها وانتقادها لكل ما جرى، فلم تحصد إلاَّ علقماً.

وها هو الرب بذراعه الرفيعة ينقذ بني إسرائيل من العبودية ويُخرجهم من مصر، ولكن تذمُّرهم كان سبب غضب الله ونبيه موسى. فقد رأوا فيما صنعه الله مؤامرة لإماتتهم: "هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟" (خر ١٤:١١)، "لماذا أصعدتنا من مصر لتُميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش؟" (خر ١٧:٣). وحتى لما دبَّر الله لهم المنّ والسلوى طعاماً لهم يتجدَّد كل يوم على مدى السنين، قالوا: "كرهت أنفسنا الطعام السخيف" (عد ٢١:٥). وكانت عاقبة غلاظة القلب والرقبة ورفض تدبير الله وإهانته، هلاكاً لكل مَن خرج من أرض مصر خلال سنوات التيه الأربعين، و لم يدخل كنعان منهم سوى يشوع وكالب وأجيالهم التالية.

## بركات حياة الشكر

إن نفس الله ترتاح في القلوب الطائعة الشاكرة دوماً، والتي ألقت كل رجائها على الله أصل وجودها. وكلما التزمت النفس بالشكر، سواء فاضت عليها البركات والأفراح، أم حاصرتها الآلام والتجارب؛ كلما تمتعت **بعناية الله ورعايته وحمايته وبركاته** أضعافاً **"لأنه تعلّق بي أُنجّيه. أُرَفِّعُه لأنه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الشدة. أُنقذه وأُمجّده، من طول الأيام أُشبعه، وأُريه خلاصي"** (مز ٩١: ١٤-١٦).

ومن ناحيتنا فإن حياة الشكر تملأ النفس **بالفرح**، لأننا أرضينا الله بالتفاتنا وتقديرنا لعطاياه، ولأن نعمة الله سندتنا فلم تسمح للتجربة أن تفصلنا عن محبة الله؛ بل صرنا بالتجربة أقرب إلى الله؛ وتصاعد يقيننا أن الله لا يفعل إلاَّ الخير، وأننا موضع اهتمامه، ومن هنا يحل **السلام** الواثق منتظراً موعد الرب. وهذا بالتالي يُحبط عمل الشرير الذي يريد أن يمتلئ القلب بالتذمُّر والجحود والاستهانة بعطية الله.

إن الله صانع الخيرات يستحق شكرنا، وإن كان لا يحتاجه. فليضئ روح الله حواسنا الداخلية لتُدرك إحسانات الله كل الحياة، **ولنجعل من كل يوم عيداً للشكر**.

# الحياة في النور

..وظلال الصليب في الأفق، استودع الرب تلاميذه كلماته الأخيرة، منبهاً إلى الآلام الدامية الآتية وحاثًّا إياهم على الاستعداد للتعامل مع المتغيرات الخطيرة التي ستداهمهم بعد قليل "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان.. وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع.. **النور معكم زماناً قليلاً بعد. فسيروا في النور لئلا يدرككم الظلام.. مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور**" (يو١٢:٢٣، ٣٢، ٣٥، ٣٦).

وما قاله الرب لتلاميذه مرتبطاً بأحداث الصليب يصلح أن ننتبه إليه مرتبطاً بحياتنا نحن في هذا العالم فالزمان الباقي لكل إنسان مهما طال هو قليل وكالبخار يظهر قليلاً ثم يضمحل، والفرص مهما تعددت هي محدودة، ومن الحكمة والتزام الإيمان الإنصات إلى صوت الرب **للحياة في النور**، أي فيه هو **نور هذا العالم**، وأن نتحصن ضد الظلام، وأن ننتبه لئلا يحتوينا كما انخدع غيرنا.

وهذه قراءة متأنية للتفرس في كلمات الرب التي سجلها لنا القديس يوحنا.

❊ ❊ ❊

(١) " **النور معكم زمانا قليلا بعد**" (يو١٢: ٣٥)

الرب، فى حديثه إلى تلاميذه، يشير إلى نفسه بأنه "**النور**" الذى سيمضى بعد قليل ويترك العالم. وقد أشار المعمدان من قبل عن المسيح أنه " **النور الحقيقى** الذى ينير كل إنسان" (يو١: ٩). والرب صرح أكثر من مرة أنه " **نور العالم**"(يو٨: ١٢، ٩: ٥) وكررها فى الحديث الذى نحن بصدده (يو١٢: ٤٦). كما ذكر عنه معلمنا القديس بطرس أنه " دعانا من الظلمة إلى **نوره العجيب**"(١بط٣: ٩). وكما هو ينير السموات (رؤ٢٢: ٤، ٥) فهو ينير العالم وكل من يؤمن، الذين سماهم **أبناء النور** (يو١٢: ٣٦).

(٢) " **فسيروا فى النور ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام**" (يو١٢: ٣٥)

والمعنى الظاهر من سياق الحديث لتلاميذه أن الظلام، الذى سيدهمهم عما قريب، هو غياب المسيح، سواء انفصاله عنهم بدخوله دائرة الآلام والصليب والموت، أو بصعوده إلى السماء بالجسد بعد أسابيع من قيامته. فهو يوصى تلاميذه أن يظلوا ملتصقين به ما بقى من أيامه على الأرض متمتعين بنوره وإرشاده الإلهى ونعمته المغّيرة للحياة قبل أن يغيب عنهم.

وقد يعنى الظلام أيضاً بالنسبة للتلاميذ الاضطهاد والضيقات الآتية عليهم وحصار العالم لهم قبل أن يقتادهم إلى الموت.

وبالنسبة لنا نحن المؤمنين فالظلام الذى يتهددنا قد يكون التجارب والحروب الروحية وميول الجسد والاضطهاد بأنواعه وفى النهاية الموت بكل طريق.

ودوام سيرنا فى النور يكفله **الإيمان الحى، ومحبة الله والقريب**، والالتصاق **بوصية الله** التى هى "**مصباح**" (أم٦: ٢٣) و"**سراج**" (مز١١٩: ١٠٥)، وهى " **مضيئة تنير العينين عن بعد**" (مز١٩: ٨)، وهى "**حياة أبدية**" (يو٧: ٥٠). فمعرفة كلمة الله تطرد الظلمة وتعطى استنارة وإفرازاً وتنبه الضمير وتحفظ من التعثّر. كما إننا فى شركة **الصلاة والعبادة** نلتقى بمصدر النور فيفيض علينا سلاما وتطهيرا لأركان القلب المظلمة. وبالاتحاد **بالجسد والدم** تلتحم النفس التائبة برئيس الحياة الذى يزيل بقع الظلام من ثوب النور. وتظل **الكنيسة** لنا أيضاً **نبعا للنور**، فهى بيت الصلاة

والأسرار والتعليم والتعزية وشركة المؤمنين، وسُمى برجها **بالمنارة** لأنها للمؤمنين كالفنار للسفن وسط أمواج البحر المتلاطمة. وهذا كله يحفظ نفوسنا من أن يدركها ظلام الهموم والتجارب وخداع الشهوة ومحبة هذا العالم. وحتى إذا جاءت ساعة ظلمة الموت، فلن تكون للسائرين فى النور مفاجأة صاعقة تزلزل الكيان، كما هو الحال مع الأشرار الذين يستترون فى الظلام طويلا حتى تداهمهم ساعة الموت كلص " **أما أنتم أيها الإخوة فلستم فى ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص**"(١تس٥: ٤)، أما لأبناء النور فإن ساعة الموت لن تكون إلا ساعة الانطلاق إلى النور الأبدى.

والطبيعى أن المؤمن الحقيقى يحيا فى النور ويحبه، ويقبل التأديب الذى ينقذ من الموت، ويسير فى الحياة مفتوح العينين متفاديا كل العثرات والعقبات وظلمة الخطية. وعلى العكس فالخاطئ متستر ويحتمى بالظلام متفاديا النور الذى يكشف عيوبه " **لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتى إلى النور لئلا توبخ أعماله**" (يو٣: ٢٠). ولكن النتيجة المؤسفة أنه يفقد الطريق ويضيع منه الهدف، وكالأعمى دون مرشد يضل ويتعثر لأنه " لا يعلم إلى أين يذهب" (يو١٢: ٢٥). وبينما يحسب، وهو يتسلل ملتحفا بالظلام، أنه ينجو من الدينونة، سيقع حتما تحت طائلة الدينونة ويفقد فرصة الحياة إن لم يستجب لنداء الخلاص وينهض من ظلمة الخطية القاتلة للنفس، مقتديا بالابن الضال الذى لما اكتشف بؤس حاله " **قام وجاء إلى أبيه**" (لو١٥: ٢٠) تائبا فوجد الأحضان المفتوحة وعاد إلى النور. ومعلمنا بطرس يصف من ينسى تطهير خطاياه السالفة أنه " أعمى قصير البصر"، ومن ثم فهو يحثنا أن نجعل دعوتنا واختيارنا ثابتين " **لأنكم إن فعلتم ذلك لن تزلّوا أبدا لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى**" (٢بط١: ٩-١١).

**(٣) "مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور"** (يو١٢: ٣٦)

الذين يؤمنون بالنور، أى بالنور الحقيقى ملك الدهور، وبالحياة فى النور، يصيرون " **أبناء النور**"، فيضيئون مثله هنا وهناك (فى الأبدية)، وإنما بفارق ما. فالمؤمنون على الأرض هم "**نور العالم**"، يعكسون نور السيد للناس كما يعكس القمر نور الشمس فنستضئ به " **فليضئ نوركم هكذا قدام الناس**" (مت٥: ١٦).. ونور المسيح الذى

يعكسونه هو الحياة الجديدة التى يفصح عنها المحبة الشاملة والإيمان الحى والسلوك بحسب الإنجيل " لكى يروا أعمالكم الحسنة" (مت٥: ١٦). أمَّا فى الأبدية فإننا " **نصير مثله**"(١يو٣: ٢) أى ننير نحن أيضاً كالشمس بنوره الذى فينا "**حينئذ يضئ الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم**" (مت١٣: ٤٣) كما سطع نور الرب يوم التجلى (مت١٧: ٢).

(٤) " **أنا قد جئت نورا للعالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة**" (يو١٢: ٤٦)

يحفل الكتاب بالآيات التى تربط النور بالحياة الجديدة والظلمة بالخطية:

" كنتم قبلا **ظلمة** أما الآن **فنور فى الرب**" (أف٥: ٨)؛ " فلنخلع أعمال الظلمة **ونلبس أسلحة النور**" (رو١٣: ١٢)؛ "جميعكم **أبناء نور وأبناء نهار**. لسنا **من ليل ولا ظلمة**" (١تس٥: ٥).

ولأن طبيعة النور أنه لا يمكن أن يجتمع والظلمة " **لا شركة للنور مع الظلمة**"، وبالتالى فالحياة المسيحية ليس فيها ظلمة البتة. فلا يمكن أن يجتمع البر والإثم، ولا أن يتفق المسيح مع إبليس، أو أن يتوافق هيكل الله مع الأوثان (٢كو٦: ١٤-١٦) " **إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق**" (١يو١: ٦).

من هنا فالحياة فى النور تتضمن توحد القلب واستقامة السلوك وعدم العرج بين الفرقتين (١مل١٨: ٢١). كما أن البقاء فى النور يستدعى السهر والانتباه والتدقيق والاستعداد الدائم للقاء الرب. وحتى إن تعثّر المؤمن بمؤامرة العدو فسبيله هو النهوض السريع والرجوع بالتوبة إلى رحاب النور.

على أن إبليس لا يعدم وسيلة لتزييف الحياة الروحية بالرياء والادعاء، فقد لا تجد دعوته للانقلاب على الإيمان، والانسحاب الكامل من النور، والسلوك فى الشر، قبولا من كثرة المتدينين، ولكن قد يرتاح البعض إلى حياة الرياء المزدوجة التى يحاولون فيها إرضاء العالم والاستمرار فى تدينهم الشكلى، وهى محاولة محكوم عليها بالفشل **فلن يقدر أحد أن يخدم سيدين** كما قال الرب (مت٦:٢٤)، وهذه الثنائية هى أكثر الأمراض الروحية انتشاراً (وهى التى تفرز حالات خيانة المسيح التى تصدمنا بين الحين والحينً وتُحزن قلب الرب وكنيسته). وفى الثنائية يصير قلب المتدينين الشكليين نهبا مستباحا لكل

التيارات، ويغطون انحرافهم بقشرة من الممارسات الآلية يجتهدون بها إلى إسكات صوت ضمائرهم، أو سعيا لإرضاء من حولهم، دون أن يهمهم إرضاء الله أو يشغلهم مصيرهم وخلاص أنفسهم. هؤلاء مهما قالوا هم ينكرون الإيمان ويخونون سيدهم متعثرين فى الظلمة، ولا نجاة لهم ولا سبيل إلى الحياة الأبدية بغير توقفهم عن ريائهم وتجديد قلوبهم بتوبة حقيقية شاملة تصحح مسار الحياة وتنقلهم من الظلمة إلى النور (أف٥: ٨، ١بط٢: ٩).

(٥) " **إن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم**"(يو١٢: ٤٧).

الرب هنا يؤكد على ما قاله من قبل " **لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم**" (يو٣: ١٧).

هذه هي إذاً فرصتنا للحياة الجديدة، والسير فى النور، والتمتع برفقة المخلص الطيب ونحن هنا على الأرض. نعم. فالنور معنا زمانا قليلا. والحياة لن تدوم وعما قليل ستجتاحنا ظلمة الموت. فحياتنا الحاضرة رغم قصرها وضيقها هى فرصة متسعة للخلاص. **والآن** (أى اللحظة الحاضرة) هو فقط الذى لنا، **أما الماضى** فلا نقدر أن نستعيده بعد أن ولّى وغاب فى أعماق الزمن، **والمستقبل** ليس فى أيدينا بعد، وهو بدوره يتحول بالتتابع إلى لحظة حاضرة يطويها الزمان ولا تعود. ومن هنا يهتف معلمنا القديس بولس " هوذا **الآن** وقت مقبول. **هوذا الآن** يوم خلاص" (٢كو٦: ٢).

**وعلى المؤمن أن يمسك باللحظة الحاضرة لأن "الآن" ساعة الخلاص والغفران والتصحيح والتوبة والرجوع بعد التعثر. فالدينونة مؤجلة إلى اليوم الأخير. وحتى مجيئه الثانى يبقى الرب لنا النور الهادى، قوتنا وتسبحتنا، المحامى والشفيع، والصديق المحب الألزق من الأخ** (أم١٨: ٢٤). وفى هذا يكتب معلمنا القديس بولس مؤكدًا على مساندة الرب " **آمين هو الرب الذى سيثبتكم ويحفظكم من الشرير والرب يهدى قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح**" (٢تس٣: ٣).

❋ ❋ ❋

إن المؤمنين مدينون بحياتهم لمن جاء نورًا للعالم (يو١٢: ٤٦). فهو الذى يفيض عليهم بنوره فيعكسونه على العالم برا وقداسة وحبا وخدمة وبذلا واحتمالا. وهو

الذى يسيّج حولهم لئلا تغمرهم ظلمة هذا الدهر. وفى أوقات الضعف يأتى لُينهض ويشدد ويقيم وينتشل من مراغة الحمأة إلى دائرة النور.

ولكن ستظل لأبناء النور التزاماتهم مادام لهم النور:

**(١) أن يؤمنوا بالنور** (يو١٢: ٣٦)

أى أن يلتصقوا به ويعلنوه للعالم لا أن يخفوه أو يخجلوا منه " **لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل. ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضئ لجميع الذين فى البيت**" (مت٥: ١٤، ١٥).

**(٢) أن يعيشوا فى النور** (يو١٢:٣٥)

ساهرين صاحين، فالنور يتصل به الصحو والسهر بينما يرتبط الظلام بالليل وهذا يرتبط به النوم (١تس٥: ٧)، والنوم يرمز إلى الإهمال والاستسلام والتراخى والكسل والفتور والضعف " **لسنا من ليل ولا ظلمة فلا ننم إذن كالباقين بل لنسهر ونصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هى رجاء الخلاص**" (١تس٥: ٥، ٦، ٧).

**(٣) أن يترجوا النور الأبدى**

أى أن يتطلعوا دوما لوطنهم السماوى " **منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح**" (تى٢: ١٣). ويصير بلوغ الحياة الأبدية والحياة فى النور الأبدى هدفا لا يغيب " ولا يكون ليل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس **لأن الرب الإله ينير عليهم**"(رؤ٢٢: ٥).

※ ※ ※

ومرة أخرى .. " **النور معكم زمانا قليلا بعد .. فسيروا مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام**".

# الميل الثاني

بتجسُّد الرب بدأ عهد الله الجديد مع الإنسان الذي تنبَّأ عنه إرميا النبي قبل مجيء الرب بأكثر من ستة قرون قائلاً: "ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً**، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم، يقول الرب؛ بل هذا هو **العهد** الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: **أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً**" (إر ٣١: ٣١-٣٣، عب ٨: ٨-١٠؛ ١٠: ١٦و١٧، رؤ ٢١: ٣).

وقد قدَّم المسيح في تعليمه عهده الجديد مع الإنسان وأعدَّه لقبوله وممارسته بالولادة الجديدة الممنوحة له بخلاص الرب. وهكذا يحيا وصاياه ويُنفِّذها بإرادة مقدسة تنحاز للخير وترفض الشر، وإيمان يُغيِّر بالتوبة الإنسان الباطن كل يوم ويدفعه للنمو في آفاق الروح، ساعياً إلى هدف أسمى لا يغيب يؤكِّده **"الوعد الذي وعدنا هو به: الحياة الأبدية"** (١يو ٢: ٢٥).

على أن العهد الجديد ليس مقطوع الصلة بالعهد القديم. ولم يأتِ الرب لينقضه، بل ليُكمِّله بعد أن أدَّى الناموس مهمته

كمؤدِّب (غل ٣: ٢٤)، وبعد أن أتاح التدبير الإلهي للإنسان نوال النعمة للحياة بحسب وصايا المسيح والتمتُّع بالحياة الجديدة مع الله "لا تظنوا أني جئتُ لأنقض الناموس أو الأنبياء. **ما جئتُ لأنقض بل لأُكمِّل**" (مت ٥: ١٧).

## "قيل لكم ( للقدماء )... وأما أنا فأقول لكم"

لكي نفهم وصية الرب عن **الميل الثاني**، فلنقرأ هذه الأجزاء من موعظته على الجبل:

"قيل لكم عين بعين وسنٌّ بسنٍّ(١)، أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، **بل مَن لطمك على خدِّك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً. ومَن أراد أن يُخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضاً. ومَن سخَّرك ميلاً واحداً، فاذهب معه اثنين. مَن سألك فأعْطِه، ومَن أراد أن يقترض منك فلا ترُدَّه.** سمعتم أنه قيل: تحب قريبك(٢) وتُبغض عدوَّك(٣)، وأما أنا فأقول لكم **أحبُّوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مُبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم** (لإيقاف دائرة العنف والكراهية والانتقام)" (مت ٥: ٣٨-٤٤، لو ٦: ٢٧-٣٠).

ويُكمِل القديس بولس في نفس الاتجاه: "**لا يغلبنَّك الشر** (أي يستولي عليك ويجعلك تقابله بالشر، فهو هنا قد انتصر عليك)، **بل اغلب الشر بالخير** (أي انتصِرْ على الضعف والخضوع لنوازع الانتقام والسلوك حسب أهل العالم، واحتمِ في النعمة ضد تيار الشر بفيض من الخير والإحسان وقوة المحبة)" (رو ١٢: ٢١).

## بين الناموس الطبيعي وناموس المسيح

---

(١) "وإن حصلت أذية، تُعطِي نفساً بنفس، وعيناً بعين، وسنًّا بسن، ويداً بيد، ورجلاً برجل، وكيًّا بكيّ، وجرحاً بجرح، ورضًّا برضّ " (خر ٢١: ٢٣و٢٤).

(٢) لا ١٩: ١٨

(٣) استطراد من تعليم الرِّبِّيين وليست من الوصايا.

(**١**) في أولى مراحل التاريخ الإنساني، قبل الوصايا العشر والناموس، أودع الله في الإنسان **ناموساً طبيعياً** هو **"فجر الضمير"**. ومع ذلك، حتى على مستوى العائلة، رأينا **قايين** يغتاظ جداً من أخيه هابيل، وفي الحقل يقوم عليه ويقتله، لأن الله قَبِلَ قربان هابيل ورفض قربانه (تك ٤: ٣-٨)؛ ورأينا عين **حام** الخائنة تقتحم خصوصية أبيه نوح (تك ٩: ٢٢)؛ ورأينا **رفقة** تحابي ابنها **يعقوب** وتجعله يُخادع أبيه إسحق لينال البركة بدلاً من عيسو الأخ الأكبر (تك ٢٧: ٥-٢٩)؛ ورأينا **عيسو** بالتالي يحقد على يعقوب أخيه ويتعقَّبه ليقتله (تك ٢٧: ٤١)؛ كما رأينا **إخوة يوسف** يحسدونه ويطرحونه في البئر ويكذبون على أبيهم من جهته (تك ٣٧: ١١و٢٣و٢٤و٣١و٣٢)؛ وحتى **موسى** (قبل دعوته) وفي دفاعه عن إخوته قتل المصري الذي كان يضرب العبراني، فكان انتقامه ساحقاً (خر ٢: ١٢و١٣).

فالإنسان خائف ومتوجِّس من أخيه، متربِّص به، وربما يستبق إلى الهجوم، وهو **في انتقامه** هذا مرتاح الضمير، ويحسب أنه انتصر، وإن كان في الحقيقة صار عبداً لنوازعه، **مديناً لعدوِّه** لأنه نال منه أكثر مما يستحق.

(**٢**) ثم أتى **فجر الإعلانات الإلهية، وهو "ناموس العهد القديم"**، ومحوره **العدل** لا الانتقام. فتحب قريبك، ومَن يعتدي عليك تقتص منه بالضبط: فالعين بالعين، والسن بالسن، وهكذا. وإن كان هذا القانون يحقِّق العدل ويردع مَن يبدأ بالعدوان، إلاَّ أنه يجعل مَن يقتص أسير الضعف، مغلوباً من بغضته لعدوِّه، فقد أَرضَى نزعة الثأر فيه. **فهو وعدوُّه يستويان.**

(٣) وبعد ألفي عام، يُشرق على العالم **نور الإعلانات الإلهية "ناموس المسيح وعهده الجديد"**، تُعلنه **"النعمة"** بعد أن أدَّى **"الناموس"** مهمته، لينتقل الإنسان إلى مرحلة أخيرة كـ **"خليقة جديدة في المسيح"** (٢كو ٥: ١٧)، تنعم بناموس محوره **الحب**، وبقوة المحبة التي يثمرها الروح القدس في المؤمن، يسمو فوق انفعالات الغريزة الجسدية المادية بالانتقام، ويصبح القريب كل البشر، ويصير مِن ضمن هموم المؤمن كيف يستأسر العدو والمعتدي لطاعة الحق.

## دوافع السلوك في ناموس المسيح

ها هو الرب يُقدِّم حيثياته:

(١) **"لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات"** (مت ٥: ٤٥). فنحن **"أولاد الله"** (١يو ٣: ٢)، وهذا هو قانون أبناء العهد الجديد الذين لابد أن يتمايزوا عن الإنسان الطبيعي الذي لم يولَد من فوق: **"إن لم يَزِدْ برُّكم على الكتبة والفرِّيسيين لن تدخلوا ملكوت السموات"** (مت ٥: ٢٠)، "لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم، فأيُّ أجر (فضل) لكم؟ أليس العشَّارون (الخطاة) أيضاً يفعلون ذلك؟ وإن سلَّمتم على إخوتكم فقط، فأيُّ فضل تصنعون؟ أليس العشَّارون أيضاً يفعلون هكذا؟" (مت ٥: ٤٦و٤٧، لو ٦: ٣٢)، "وإذا أحسنتم إلى الذين يُحسنون إليكم، فأيُّ فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضاً يفعلون هكذا. وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم، فأيُّ فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضاً يُقرضون الخطاة لكي يستردوا منهم المِثْل. **بل أحبوا أعداءكم، وأحْسِنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجُون شيئاً**" (لو ٦: ٣٣-٣٥).

(٢) ولأننا ينبغي أن نتمثَّل بأبينا السماوي في رحمته: "المُنْعِم على غير الشاكرين والأشرار. **فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم**" (لو ٦: ٣٥و٣٦).

(٣) ولأننا يجب أن نسعى للكمال قدر طاقتنا كأولاد الله الكامل **"فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل"** (مت ٥: ٤٨).

## "مَن سخَّرك ميلاً، اذهب معه اثنين"

هذه الوصية في ظاهرها تُخاطب المؤمن، ولكن في جوهرها يُنفِّذها المسيح في المؤمن، وهو الذي يُكافئ ["فيكون أجركم عظيماً، وتكونوا بني العليّ" (لو ٦: ٣٥)].

وأمامنا هذا النموذج الذي سجَّله ثلاثة من الإنجيليين. فهو ينير ذهننا لنفهم هذه الوصية:

"وفيما هم خارجون، وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان. **فسخَّروه ليحمل صليبه** (صليب المسيح) " (مت ٢٧: ٣٢)؛

"**فسخَّروا رجلاً مجتازاً** كان آتياً من الحقل، وهو سمعان القيرواني أبو ألكسندرس

وروفس، **ليحمل صليبه**" (مر ١٥: ٢١)؛

"ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً **كان آتياً من الحقل، ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع**" (لو ٢٣: ٢٦).

فسمعان من حيث لا يدري أمسكوا به ووضعوا عليه الصليب دون أن يستأذنوه، فحمله مُسخَّراً وسار به وراء مخلِّص العالم حتى الجلجثة. والمسيح يريد أن يضع نفسه في هذه الوصية: **فمَن سخَّرك ميلاً – أي حمَّلك صليباً – اعْتَبِر أنه صليب المسيح، وأن تذهب معه ميلين، أي تحمل صليبك وصليبه (صليب المسيح)، والمسيح يتقدَّمكما**. وهذا ينقل التسخير من الشخص الذي يُكلِّفك إلى شخص المسيح، فيُجرِّد الفعل من السُّخْرة والعبء إلى إطاعة صوت الوصية ومجازاة الرب المُفرِحة. وهكذا تتحوَّل السُّخرة إلى عمل إرادي مُحبَّب يجلب السرور من أجل المسيح؛ تصير فيه **سيِّداً متطوِّعاً – لا عبداً طائعاً** – فتفعل كسيِّدك: "**الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مُستهيناً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله**" (عب ١٢: ٢).

ولقد صار "**السير ميلاً آخر**" to go the extra mile تعبيراً شائعاً في عالم اليوم، ويُقصَد به: بذل الجهد المضاعف، وتنفيذ ما هو أكثر من التكليف، واحتمال الآخر إلى أقصى المدى وعدم معاملته بالمِثل، وبذل محاولة إضافية بعد أن تعيينا الحِيَل.

كما صار **التطوُّع** أو خدمة المجتمع المجانية volunteering اتجاهاً حضارياً له أصوله المسيحية في وصايا المسيح، خاصة وصية **الميل الثاني**.

## روح الميل الثاني في الحياة والخدمة

هذه علامة فارقة للمسيحيين الحقيقيين خاصةً خدَّام الله في أي مجال، في الكنيسة أو في العالم. وهي تعبير عن غِنَى المسيحية وكمالها وفيض عطائها النابع من حب وسخاء المخلِّص الذي وضع نفسه من أجل كل من "هُم بعد خطاة" (رو ٥: ٨).

فروح **الميل الثاني** هي تجاوز الحدود العادية إلى ما هو فائق، ومنها التأهُّب والمبادأة، وطول الأناة، والاحتمال بغير حدٍّ، وإتقان الأداء بغير رقيب ودون انتظار

المكافأة. وبالأَوْلَى هي تتنافَى مع الكسل والتثاقُل والتردُّد والتسويف والإهمال، وباقي هذه القائمة الشريرة. وهذه بعض تطبيقات الوصية:

**(١)** الاستعداد الدائم والمبادرة لتنفيذ أي خدمة وتلبية النداء سريعاً والإقبال على مساعدة الآخرين دون أن يُطلب منَّا ذلك، متمثِّلين بالرب الذي تقدَّم منَّا ودفع ثمن خلاصنا قبل أن نؤمن؛ وهو الذي دعا تلاميذه، ونادى زكَّا، وسأل السامرية، وبادر مريض بركة بيت حسدا والأعمى منذ ولادته، وانحنى وغسل أرجل تلاميذه، واقترب من تلميذَي عمواس وفسَّر لهما نبوَّات الكتب، وهو الواقف على الباب يقرع (رؤ ٣: ٢٠).

**(٢)** تنفيذ تكليفات الأسرة أو مسئول الخدمة (أو العمل) بسرور (٢كو ٩: ٧)، لا عن اضطرار، ودون مقارنة مع جهد الآخرين؛ فمرثا كانت تؤدِّي خدمة مطلوبة بالفعل، ولكنها انتقدت مريم التي جلست عند قدمي يسوع تسمع كلامه وكانت موضع رضاه (لو ١٠: ٣٩). **فالذي يذهب الميل الثاني لا يليق به أن يلتفت إلى أداء غيره.**

**(٣)** الخدمة الحقيقية لا تعرف الراحة. والخادم المُخْلِص لخدمته لا يكفُّ عن متابعة مخدوميه وافتقادهم واحتمال الأتعاب من أجلهم، مدفوعاً بمحبته لإلهه ولهم.

**(٤)** احتمال الأهل وزملاء العمل والخدمة (حتى الذين يضيقون بنا) كما يحتملنا الله ويغفر لنا: **"محتملين بعضكم بعضاً، ومُسامحين بعضكم بعضاً إن كان لأحد على أحد شكوى. كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً"** (كو ٣: ١٣)، **"وكونوا لُطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين مُتسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح"** (أف ٤: ٣٢).

**(٥)** الإقبال على خدمة الفقراء بسخاء زائد في العطاء. وهذه كلمات الرب: **"أعْطُوا تُعْطَوْا، كيلاً جيداً مُلبَّداً مهزوزاً فائضاً يُعْطُون في أحضانكم"** (لو

٦: ٣٨)، وهذه كلمات معلِّمنا بولس الرسول عن الرب: "في كل شيء أريتكم أنه هكذا ينبغي أنكم تتعبون وتَعْضُدُون الضعفاء، **متذكِّرين كلمات الرب يسوع أنه قال: "مغبوطٌ هو العطاء أكثر من الأَخْذ"**" (أع ٢٠: ٣٥)، وواثقين **"أن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه، إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم"** (عب ٦: ١٠).

**(٦)** الاهتمام بالآخر، خاصة الضعيف والمريض والمُعاق واليتيم والغريب، سواء **في مجال الأسرة**، حيث ينبغي على المسيحي الملتزم أن يهتم أولاً بالوالدين والشيوخ والمرضى، بما قد يتطلَّب السؤال والزيارة والرفقة والتعليم والتمريض وصُنع السلام والانتقال بالمحتاج حيث يتطلَّب الأمر؛ أو **في مجالات العمل المختلفة**، فمعاملة المدرس والأستاذ المسيحي لطلابه، والطبيب المسيحي لمرضاه ومساعديه، والمهندس المسيحي لعماله، والمحاسب والمحامي والموظف المسيحي لعملائه، لابد أن تتسم **بروح الميل الثاني** بتقديم أفضل معاملة وخدمة، هي الآن إحدى سمات الدول المتحضرة، دون أن يتعارض هذا بالطبع مع إعمال القانون وتوجيه المقصِّرين وعقاب المخالفين وحِفظ حقوق المجتمع. فالهدف في النهاية هو **تجديد الإنسان**.

**(٧)** إن روح **الميل الثاني** ينبغي أن تصبغ حياة المسيحي في أي مجتمع يحتاج إلى الكرازة بالمسيح. فهذا هو المدخل لتقديم المسيح المخلِّص والخادم المُحِب. وليس أفعل في النفس وفي المجتمعات غير المؤمنة من أن تُعامَل على مستوى ناموس المسيح.

✷ ✷ ✷

يسندنا في تنفيذ وصايا المسيح، وضمنها هذه الوصية **"الميل الثاني"**، عمل نعمة الله التي تجعل **وصايا الرب "ليست ثقيلة"** (١يو ٥: ٣)، بينما للإنسان الطبيعي هي أوهام لا يمكن تحقيقها في الواقع العملي. ومُعلِّمنا يعقوب يحث مَن تعوزه حكمة أو موهبة أن **"يطلب من الله الذي يُعطي الجميع بسخاء ولا يُعيِّر، فسيُعطَى له"**

(يع ١: ٥). وسوف تتولَّى نعمة الله تدريب النفس على الإنصات لصوت الإنجيل والخضوع لتوجيه الروح، وإنارة التوبة كنهج حياة يقتلع محبة الذات وتفضيل الراحة، مع تسليم الحياة كي يمارِس المسيح والروح القدس الساكن فينا تنفيذ وصاياه دون عائق. ولكن يبقى المسيح أولاً وأخيراً مثالنا الذي نتبع خطواته (١ بط ٢: ٢١)، فهو الذي غلب الكراهية بالحب، وهو الذي أطاع حتى الموت، وهو الذي طلب الغفران لصالبيه وهو مُعلَّق على الصليب.

وهذه هي وصية المسيح، وهذه هي قوة تنفيذها.

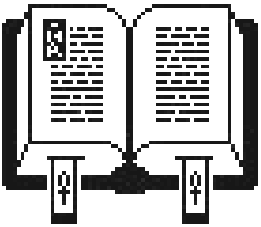

# الصوم المسيحي

ربما كانت نقطة البداية في أمر الصوم أننا ليس فقط نتبع وصية الرب وإنما نقتفي خطاه إذ صام أربعين يوماً وأربعين ليلة.

ومن هنا يتخذ الصوم الأربعيني موقعه الأول بين الأصوام الكنسية، لأنه الصوم الذى صامه الرب "**عنا**"، بعد مشهد المجد غير المسبوق فى الأردن واستعلان الثالوث الأقدس، وتقديم الرب إلى البشرية الحمل الذى يرفع خطية العالم (يو ١: ٢٩)، وقبل بدء خدمة الرب الجهارية فى الطريق الصاعد إلى الجلجثة عبوراً بظلمة القبر إلى إشراقة القيامة.

وسوف نلاحظ أن صوم الرب كان فى البرية، وبعده كانت التجربة من إبليس، وبعد التجربة كان الرب مع الوحوش (مر ١: ١٣) التى جاءت تأتنس وتحتمى فى خالقها. والمغزى هنا أن حياتنا مهما كان جمالها ونعيمها الخارجى هى برية موحشة نتعرض فيها للتجارب من إبليس وأعوانه من البشر الذين ربما كانوا أشد شراسة من وحوش البرية. **والصوم يعدّنا لهذا الجهاد الموضوع أمامنا** (عب ١٢: ١).

وإذا كان الرب قد صام نائباً عنا، أى لحسابنا، فنحن الذين تبعناه أوْلى بأن نسير على نهجه (١بط ٢: ١٢)، شاكرين له هذا التوجيه الإلهى. فالله هو ضابط حياتنا العارف بخبايا نفوسنا ومصادر القوة ونقاط الضعف فيها. ولأن السقوط الأول كان خضوعاً لإغراء الحية القديمة- إبليس – (رؤ١٢: ٩)، والتلهف على الأكل مما نهى الرب عنه، فقد علّمنا السيد أن الانتصار على ميول الجسد يبدأ بالتوجه إلى مصدر الحياة وواهبها وإخضاع الجسد لقيادة الروح القدس.

واستخدم الرب "الخبز" باعتباره عماد القوت (حتى أن المصريين يسمونه "العيْش")، والذى يسعى إليه الناس لضمان الحياة، منبها **أن ضمان الحياة ليس فى الخبز (البائد) وإنما فى معطى الخبز والحياة "أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء.. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد"** (يو ٦: ٥١)، وأن توقفنا عن أكل الخبز وممارسات الجسد الأخرى لبعض الوقت إعلان على أننا نحيا بالإيمان غير خاضعين لأمور الجسد **"ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان"**، وتوجيه الحياة نحو المصادر الأصيلة **"بل بكل كلمة تخرج من فم الله"** (تث ٨: ٣، مت ٤: ٤، لو ٤: ٤) بدءاً وانتهاءً بالرب يسوع نفسه **"الكلمة"** (يو ١: ١، ١٤) و**"كلمة الحياة"** (١ يو ١: ١). وهذا التمرد على حاجات الجسد (وهى الأدوات التى يتسلل منها الشيطان إلى حياتنا) يقود إلى التمرد على "رئيس هذا العالم" (يو ١٦: ١١) الذى يخترق جدران حياتنا من خلال نقاط الضعف وأولها الحاجة إلى الطعام والمال والجنس والقوة وغيرها وغيرها، بحيث يصير الله لنا الكل فى الكل **"للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"** (مت ٤: ١٠، لو ٤: ٨) .

## سمات الصوم المسيحى

لا تنفرد الحياة المسيحية بالصوم. فمنذ وصية الله إلى آدم بالصوم "من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها" (تك ٢: ١٦)، وكل العبادات تتضمن الصوم. وهو وإن اتفق جزئياً فى الشكل (الامتناع عن الطعام لفترة ما) إلا أن الصوم المسيحى يختلف فى فلسفته ومعناه بقدر ما تختلف ضروب العبادة المسيحية عما فى غيرها.

**(١) فالصوم المسيحى ككل ألوان العبادة هو عمل من أعمال الإيمان بشخص المسيح المخلص ومحبته ولحسابه.** وهو تعبير عن الحياة الجديدة التى تبررت بدم المسيح وتقدست بالروح القدس، وهذه الأعمال تنتسب للرب أكثر مما تنتسب إلينا **"لأننا عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها"** (**أف ٢: ١٠**). وارتباط الصوم **بالإيمان** هو الذى يجعل له قيمة ويقبله الله كرائحة بخور، فتفيض علينا مراحمه وننال النصرة فى التجارب.

ومحبتنا للمسيح هى التى تجعلنا نقبل راضين كل ألوان الحرمان والجهد حتى ضعف الجسد وبذله **كأننا نكمل نقائص شدائد المسيح فى أجسادنا** (**كو ١: ٢٤**). فلا فائدة من صوم شكلى بدون إيمان وبدون حب وبدون شركة فى المسيح.

**(٢) والصوم المسيحى ليس فريضة يصير إتمامها غاية فى حد ذاتها وتضاف إلى رصيد أعمال الصائم "أنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا"** (**لو١٧: ١٠**). فعبادتنا هى تعبير عن حبنا لله وهى فى ذاتها فرصة للقاء مع الله والتوحد معه، **وهى من ثم ليست ديْناً تُطلب عنه مكافأة.**

**(٣) الحياة المسيحية تشمل الجسد والروح معاً "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس.. فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله"** (**١كو٦: ٢٠**)، **"الجسد للرب والرب للجسد"** (**١كو٦: ١٣**). عندما ينحصر اهتمام الإنسان فى جسده وحده يصير عدواً لله ويموت **"فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله"** (رو ٨: ٨).. **وخطة الله أن يشترك الجسد والروح كلاهما فى عبادته، وأن يتحملا الآلام معاً لأجله، كما يتمجدان معاً فى مجئ الرب "الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده"** (**فى٣: ٢١**)

وكما أنه فى الصلاة يُرفع الذراعان أو ينحنى الرأس أو يركع الجسد أو يسجد، وتئن الروح فى الداخل، ففى الصوم ينقطع الجسد عن الطعام ثم يأكل القليل من الأطعمة النباتية ويتوازى معه فى الباطن التعفف وضبط الفكر والحواس والكلام

والنسك والاختلاء وإنكار الذات. وهكذا يتم التوازن بين الجسد والروح، وتنضبط حركات الجسد ويأخذ الروح مكان القيادة.

**(٤) الصوم إعلان أن النفس قد رفضت عبوديتها للقمة العيش والمال والعالم بأسره** وأنها تدرك أن حياتها هى فى اتباع كلمة الله والاتحاد بالمسيح **"الخبز الحى"** فى الإفخارستيا، ومن هنا اقتران الصوم بالتوبة والتناول وقراءة الكلمة خروجاً من العالم وتطلعاً إلى الأبدية.

**(٥) الصوم لا يغفر الخطايا ولا يستطيع**، فغفران الخطايا هو بدم المسيح وحده، ولكن الصوم يبدو متناغماً مع حالة التوبة والتوسل وحمل الصليب واستدرار مراحم الله فيتحنن ويغفر لنا خطايانا التى دفع ثمنها مسبقاً مخلص العالم بدم صليبه.

**(٦) الصوم يبدو إعداداً للنفس لتلّقى نعمة روحية**، كما هو الحال عند بدء خدمة معينة (كما فعل المسيح مثالنا قبل بدء خدمته، وكما يفعل الآباء الأساقفة والكهنة عند سيامتهم). وهو يسبق الأعياد وممارسة سرى المعمودية والتناول ورسامة الإكليروس؛ ويذكر سفر الأعمال (أع ١٣: ٢،٣؛١٤: ٢٣) أن الرسل كانوا يصومون قبل اختيار الخدام أو إرسالهم.

**(٧) الصوم – على عكس الصلاة – لا يقف وحده، وهو وحده محدود الفائدة.** ربما قاد الشعور بالجوع إلى الالتفات إلى حاجات الفقراء. ولكن بدون الفكر الروحى ربما قد يؤدى إلى التفكير فى الطعام وربما اشتهائه (كما يفعل الجسديون الذين يأكلون فى اليوم السابق على بدء الصوم فيما يسمونه "الرفاع" – وهو فى الأصل رفع ما يؤكل فى غير الصوم – ما تشتهيه أنفسهم تعويضاً مسبقاً عن حرمانهم القادم، وينشغلون بالطعام أكثر من اهتمامهم بالصوم). **ولكن الصوم يصلح رفيقاً منشطاً لممارسات روحية أخرى.** فإن اقترنت به الصلاة صارت أكثر حرارة وخشوعاً، فالجسد ضعيف ولكن الروح نشيط (مت٢٦: ٤١، مر١٤: ٣٨)، كما قد يقترن بالتوسل والتوبة وطلب المغفرة (كما فعل أهل نينوى على سبيل المثال)، والسجود والميطانيات.

## تصحيح لمفاهيم خاطئة

لو أجرينا اليوم استقصاءً عاماً بين مؤمنينا لوجدنا أن نسبة من يمارسون الصوم أكثر بكثير ممن صارت الصلاة عنصراً أصيلاً فى حياتهم الروحية.

و**لاحظنا** أنه من الممكن أن نجد صائمين لا يصلّون، بينما محبو الصلاة يقبلون على الصوم.

ولو واصلنا استقصاءنا لنعرف أسباب زيادة الصائمين عن المصلين لكان من ضمنها رؤية الأولين أن الصوم ممارسة هينة يسهل أداؤها دون جهد يذكر (وأحياناً تتم لا إرادياً بتغير قائمة الطعام فى البيت)، وهى تجعلهم يتصلون بشكل ما "بالدين" دون أن يتحملوا عبء التوبة وتبعاتها. (وإذا كانت الصلاة أيضاً يمكن أن تتحول إلى تلاوات من الشفاه، فإن **الصلاة الحقيقية** تتطلب التزاماً إيمانياً وقلباً موحداً وممارسة للتوبة، أو حتى استعداداً لها، فضلاً عن تخصيص زمان للتفرغ للصلاة).

وفى الحقيقة أن ما جاء فى السطور السابقة عن الصوم يعبر عن فهم خاطئ واختزال لقيمة الصوم الروحية مما يقتضى مناقشة هذه القضية. ذلك أن فهم الصوم على أنه انقطاع مؤقت عن الطعام أو – وهو الأكثر شيوعاً – أنه تناول أطعمة نباتية (قد لا تختلف كثيراً عن الأطعمة الأخرى)، **فقط**، هو إهدار لقيمة الصوم. وممارسته فى هذا الإطار لا جدوى منها، وربما استساغ البعض المأكولات النباتية أو اعتبرها مفيدة صحياً أو كنظام غذائى يخفض الوزن – وهذا كله لن يفيد الحياة الروحية شيئاً. **ولو كان مجرد أكل البقول يحول القلب أويغير السلوك أو يهب الحياة الأفضل يكون المسيح قد مات بلا سبب** (وعلى العكس فإن البعض ينال ثمار الصوم – حتى ولو سُمح له بتناول بعض الأطعمة الدسمة لأسباب صحية – طالما التزم بروح الصوم من توبة وضبط ونسك وغيرها).

**حقيقة الأمر أن الصوم ممارسة روحية صعبة تحتاج إلى عمل النعمة** لئلا يتحول إلى مجرد عادة أو أداء آلى لا يحركه الإيمان. فالقفز إلى الصوم بينما النفس تحيا حياة عالمية، ودون قاعدة روحية فى نفس مؤمنة اختبرت الخلاص وتجاهد فى محبة الله

بالصلاة والتوبة وتجتهد فى معرفة كلمة الله واختبارها فى الحياة اليومية، وتسعى إلى بيت الله بالتسبيح وشركة القديسين والاشتراك فى عشاء الرب الإفخارستى، هو خطوة سابقة لأوانها. بل ربما أنشأ رضىً زائفاً عن النفس يعوق توبتها. **فقد كان الفريسى صائماً ولكنه افتقد اتضاع الصائم وانحناءه وحاجته إلى الغفران فلم ينل شيئاً، بينما العشار لم يكن صائماً ولكنه تقدم بروح الصائم المنكسر الشاعر بخطيئته والمترجى الغفران فنزل إلى بيته مبرراً.**

**كما أن الصوم يحتاج إلى كل وعينا ومثابرتنا لكى يؤتى ثماره.** فالذى يصوم دون أن يفطن إلى أنه صائم وأن صومه تعبير عن إيمانه لن يلتفت إلى صوم اللسان والحواس والفكر، ولن يشعر بالانسحاق والتذلل، ولن يضبط إقباله على الطعام بعد فترة الصوم، ولن ينتبه إلى فتور صلاته أو سطحيتها أو أنه لم يقرأ كلمة الله أو أنه لا يحفل كثيراً بالوجود فى بيت الرب.

**ويبقى أن نشير إلى الملاحظات التالية:**

**(١) أن الصوم ممارسة تحتاج إلى وقت كى تتأصل ثماره فى حياة الصائم.** فالأصوام الطويلة (مثل الصوم الأربعينى) ثمارها أوفر. كما أن مضى السنين فى حياة الفضيلة والتوبة وممارسة الصوم يجعلها جزءاً أصيلاً من توجُّهات المؤمن، فيصير التعفف هو قانون الحياة ، ليس فقط بالنسبة إلى الطعام – أقوى الاحتياجات – وإنما أيضاً الانتصار على المكيفات والعادات الرديئة وسائر الميول الجسدية المنحرفة.

**فاللسان ينضبط** فلا يندفع ولا يثرثر ولا تتساقط منه الأخطاء، حريصاً على كلام البنيان، وربما لجأ الإنسان إلى الصمت بدل الجدل العقيم، **كما يبطئ الغضب وتتضع النفس، وتنضبط الإرادة والحواس والسلوك فى الفرح والحزن.**

**والعلاقات الزيجية هى الأخرى لا تصير فرصة للجسد وجموحه** وإنما تعبر عن الحب فى الوقت المناسب فى غير ما إفراط. **والمال تتصاغر قيمته وتصير القناعة قرين التقوى ويصبح العطاء السخى فرحاً وبركة.** ويتراجع حب الترف والمسرات العالمية

والاهتمام بالزينة الخارجية وتنتعش زينة الروح الوديع الهادئ (١بط ٣: ٣–٤). **وهكذا يصير الصوم حياة بأكملها تتخلل كل جوانب النفس** ومجال لممارسة الفضائل الروحية من صلاة وخلوة وهدوء وتأمل ورحمة.

**(٢) الأصوام القصيرة تتناسب أكثر مع التوسل** وطلب تدخل الله فى التجارب أو عند مفترق الطرق أو الاختبارات المصيرية، وقد تشترك جماعة فى صوم كهذا لمساندة من هم فى احتياج كتعبير عن المحبة الأخوية وشركة الجسد الواحد.

**(٣) كلام المسيح – فى الموعظة على الجبل – عن الصوم (والصلاة والصدقة) يبدو منصباً على الصوم الفردى** الذى يلجأ إليه العابد ابتغاء تحنن الله وتدخله لحل مشكلة أو للنصرة فى الحرب الروحية. وهو يدين التظاهر والإعلان الذى يجعل العبادة مقدمة للناس، وإنما هى بالإيمان مقدمة إلى الله وحده الذى يرى فى الخفاء والذى سيجازى كل واحد كما سيكون عمله.

**(٤) أن قسر الناس على الصوم بالتهديد والحرمان من التناول ليس هو السبيل الإنجيلى لمعرفة المسيح.** وإنما بنشر المعرفة بالمعنى الحقيقى للصوم وعلاقته بالجهاد ضد الخطية والمساعدة على التغلب على مصاعب ممارسته.. وعندما يصير الإنسان روحياً ممارساً للتوبة يمكن أن يصوم كل الأصوام دون ضغط بل بتلقائية ودون تذمر.

**إن الصوم (وكل العبادة) دعوة للبنين للوجود مع الله واختبار محبته والتمتع بشركته وفيض عطاياه وتذوق الأبدية هنا على الأرض... فمن لا يلبى؟..**

# أنسى .. ولا أنسى

## لا أنسي ..

كما أن الله **لا ينسى** وعوده والتزاماته، ولا رعايته لخليقته إنساناً وحيواناً ونباتاً وجماداً، ولا ينسى توسلات الصارخين إليه، ولا ينسى تعب المحبة، ولا ينسى عمل الإنسان خيراً كان أم شراً، بل جعل يوماً للدينونة لمجازاة كل واحد كما يكون عمله، فكذلك علينا أيضاً الكثير الذى سيتحتم أن **نذكره ولا ننساه أبداً**:

### (١) لا أنسى عمل المسيح وفداءه

الذى به أنقذنى من الموت الأبدى وأعطانى أن أعيش فى النور، وأتذكر حبه لى حتى الموت الدامى فأحبه من كل قلبى، وأضع كل ثقتى ورجائى فيه، وأتبعه كل الحياة لأنه فيه راحتى " **تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم**" (مت١١: ٢٨).

### (٢) لا أنسى حياتى الأبدية وأننى لست من هذا العالم

فأمارس حياتى الأمينة هنا كمواطن سماوى أبدى لا تستولى عليه إغراءات الزمان الحاضر، ولا ينهار تحت آلامه وتجاربه، متمسكاً بالطريق الضيق الذى قادنى إليه الرب

لأنتقل من الظلمة إلى النور (١بط٢: ٩)، ومستنداً إلى الصليب الذى سقطت عنـــده أثقالى وخطاياى.

**" هذا هو الوعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية "** (١يو٢: ٢٥)؛

**" لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة "** (عب١٣: ١٤)،

**" ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى بل إلى التى لا تُرى لأن التى تُرى وقتية أما التى لا تُرى فأبدية "** (**٢كو٤: ١٨**).

## (٣) لا أنسى وعود الله فأصدقها وأستند إليها ولا أنسى وصية الله فأطيعها وألتزم بها

.. وأسترشد بنورها مكتشفاً جوانب قصورى وضعفى، وأتعزى بها كل الحياة **" احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذى قطعه معكم "** (تث٤: ٢٣)،

**" يا ابنى لا تنس شريعتى. بل ليحفظ قلبك وصاياى "** (أم٣: ١)،

**" سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى.. لا أنسى كلامك... أما شريعتك فلم أنسها... لو لم تكن شريعتك تلاوتى لهلكت حينئذ فى مذلتى... إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بها أحييتنى "**(من مز١١٩).

## (٤) لا أنسى إحسانات الله

لا أسمح بأن تتحول عطايا الله وإحساناته أمراً واقعاً عادياً فأفقد الانبـــهار بهـــا وشكر الله عليها فى كل يوم. وحتى فى أوجاعى وآلامى أتحسس يد الله التى تسمح بها كى أتنعم بحضور الله فيها:

**" باركى يا نفسى الرب وكل ما فى باطنى ليبارك اسمه القدوس. باركى يا نفسى الـــرب ولا تنسى كل حسناته. الذى يغفر جميع ذنوبك. الذى يشفى كل أمراضك. الذى يفدى من الحفرة حياتك . الذى يكللك بالرحمة والرأفة. الذى يشبع بالخير عمرك فيتجدد مثل النسر شبابك"** (مز١٠٣: ١-٥ وما بعده).

## ( ٥ ) لا أنسى أمور ضعفى

نحسن صنعاً إذ نتذكر أمور ضعفنا وأخطاء حياتنا الماضية وسجل اعترافاتنا الحافل لتكون أمامنا فى كل حين، لكى نتضع ونحذر ونتفادى السقوط فيها من جديد، ولكى نزداد حرصاً وسهراً عالمين أن الخطية " **طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء** " (أم ٧: ٢٦)، ولكى نؤكد لأنفسنا أن سر انتصارنا لا يكمن فينا وإنما فى قوة القدير ضابط الكل الذى يسير بجانبنا، فيتضاعف اتكالنا على الله.

**ولكن علينا أن نحذر ونتحفظ من أن نجعل خطايانا السابقة التى تُبنا عنها كأنها ماثلة دوماً أمام الله وهو الذى غفرها، أو أن تعطلنا عن النمو الروحى، أو تقف حائلاً دون تقدمنا لخدمة الله.**

ومعلمنا القديس بولس لم ينس يوماً أنه بجهل فى عدم إيمان كان مجدفاً ومفترياً ومضطهداً لكنيسة الله بل وسجل ذلك على نفسه فى رسائله (١كو١٥: ٩، غل١: ١٣، ١تى١: ١٣)، وأمام الشعب وقضاته (اع٢٢: ٤، ٥، ١٩، ٢٠، ٢٦: ١٠، ١١)، **ولكنه لم يسمح لماضيه أن يعوقه عن تبشير اليهود إخوته والكرازة باسم المسيح للأمم حتى أقصى المسكونة شاهداً لنعمة الله التى افتقدته فغيرت مجرى حياته.**

## ( ٦ ) لا أنسى خبراتى السابقة مع الله

عندما تواجه داود أمام جليات العملاق، استعاد خبرته السابقة عندما أنقذته العناية الإلهية من الأسد والدب (١صم١٧: ٣٤-٣٧)، فأيقن من انتصاره هذه المرة أيضاً. وعلينا أن نتذكر دوماً خبراتنا السابقة مع الله فى التجارب والمحن التى تمر بنا، وليس كأننا نلتقيها لأول مرة، فيمتلئ قلبنا يقيناً من انتصار النعمة لنا فى التجربة التالية وإن اشتدت فالله هو الله "**يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه**" (٢تى٢: ١٣).

## ( ٧ ) لا أنسى اختبارات الآخرين

فالعاقل الحكيم من اتعظ بغيره، فيتبع الخبرات الجيدة ويتجنب النكسات التى قادت إلى السقوط أو الهلاك.

فى مواقف الحياة، فلنتعلم الأمانة والصمود من **دانيال والفتية**، والعفة **من يوسف**، والتوبة بعد الانكسار من **داود وبطرس**، والخدمة الباذلة من **بولس**. ولنأخذ العبرة من **امرأة لوط** (لو١٧: ٣٢) التى أحبت العالم فأدركها الهلاك الذى لم تكد تنجو منه (تك١٩: ٦)، **وعيسو** الذى احتقر البكورية وباعها بالتافه القليل و لم يجد للتوبة مكاناً رغم الدموع (تك٢٥: ٢٩-٣٤، عب١٢: ١٦، ١٧)، **ويهوذا** الذى خان وباع لأن تطلعاته لم تتجاوز الحاضر إلى الملكوت وتأخر رجوعه وضاع رجاؤه ففقد كل شئ (مت٢٧: ٥، أع١: ١٨):

**" وهذه الأمور حدثت مثالاً لنا حتى لا نكون نحن مشتهين شروراً كما اشتهى أولئك... وهى كتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور. إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط"** (١كو١٠: ٦، ١١، ١٢).

## ( ٨ ) لا أنسى محبتى للقريب

وصية محبة القريب هى الوجه الآخر لوصية محبة الله، وعلى المؤمن ألا ينسى مسئوليته تجاه القريب، أى كل من تضعه النعمة فى طريق حياته: الصديق والعدو، القريب والبعيد، والفقير واليتيم والغريب والضيف. والرب فى وصاياه الأخيرة يحثنا أن نطعم الجائع، ونسقى العطشان، ونزور المريض، ونأوى الغريب، ونأتى إلى السجين، ونعتبر كل هؤلاء إخوته الأصاغر. وأن أية خدمة نقدمها (أو لا نقدمها)، لواحد من هؤلاء فكأننا قدمناها (أو لم نقدمها) له هو (مت٢٥: ٤٠، ٤٥). والوحى الإلهى يوصينا **" لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون "** (مذكّراً بضيافة إبراهيم لثلاثة رجال حملوا له البشارة بميلاد إسحق وهم كانوا ملائكة) (تك١٨: ١-٨)، ويضيف **" ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأن بذبائح مثل هذه يسرّ الله "** (عب١٣: ٢، ١٦)، ويؤكد على مشاركتنا للمتألمين

والمضطهدين " **اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم والمذلَّين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد**" (عب١٣: ٣).

## أنسي ..

يقال إن الإنسان سُمّى إنساناً لأنه ينسى. والنسيان فى الأساس من نعم الله: فالحزن (خاصة الحزن لفقد الأحباء أو الخسائر الكبيرة)، يمكن أن يقتلنا لو بقى بنفس قوته. ومن هنا جاء القول إن كل شئ يولد صغيراً ثم يكبر مع الزمن إلا الحزن الذى يولد كبيراً ثم يتضاءل بمرور الأيام ولا يبقى منه غير الذكرى. كما أن الهموم والضيقات وتقلبات الدهر والذكريات الأليمة وحتى العداوات (بين الأشخاص وبين الدول) تُنسى بمضى الزمن وتتوارى فى أحداث الحياة التى لا تتوقف ومع لمسات النعمة الرحيمة التى تسمح أيضاً بالأفراح والفرج بعد الضيق.

على أن هناك أموراً ينبغى أن نقسر أنفسنا قسراً على نسيانها إرادياً من أجل سلامنا النفسى من ناحية، وانسجاماً مع وصايا الإنجيل من ناحية أخرى، نذكر هنا بعضها:

### (١) أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام

مرة أخرى نتوقف أمام قصة **امرأة لوط** الأليمة التى بددت اللحظات الثمينة المتاحة للنجاة وصرفتها فى التأمل فى الماضى. وبدلاً من أن تتقدم إلى الأمام وتنشغل بمستقبل أفضل توقفت متحسرة على آثار وخرائب الماضى المخزى، وبقى عمود الملح القائم فى سهول البحر الميت إلى الأبد رمزاً وتحذيراً للذين لا ينسون ما هو وراء. وبولس نفسه رغم كل ما بلغه يقول " **ليس أنى قد نلت أو صرت كاملاً... أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت ولكن أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام** " (فى٣: ١٢-١٣).

وإذا اتبعنا نهج القديس بولس فهذا يتطلب أن ننسى أعمال برّنا شاكرين نعمة الله التى استخدمتنا (١كو١٥: ١٠)، بل وننسى حتى خبرات النجاح الماضية ونتطلع إلى غيرها..

وألا نكتفى بما أدركناه بل ننمو إلى ما هو أرحب وأرفع اختباراً. قد لا يجوز ذلك فيما يتعلق بقوة الجسد وأمور الصحة فهذه قد تتراجع بالمرض أو بحكم السن، وهناك أعضاء ما يتلف منها لا يتجدد، أما فى مجال الروحيات فالآفاق متسعة لا نهاية لها: " **إلى قياس قامة ملء المسيح** " (أف٤: ١٣) " **إلى كل ملء الله** " (أف٣: ١٩).

وبالأوْلى أن ننسى مواقف الفشل السابقة، والإخفاقات فى تنفيذ الوصية، ولنجاهد فى التقدم إلى الأفضل استناداً إلى نعمة الله ومعونته وشعارنا " **أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى** " (فى٤: ١٣)، وأن ننسى الخبرات السيئة والخاطئة السابقة التى تكمن أحياناً فى الذاكرة فالتخلص منها يحفظ النفس من العثرة والفكر من التلوث، والتوبة المتواترة الجادة تؤدى إلى طرح الماضى وتنقية الفكر من الشوائب.

## (٢) أنسى الإساءة وتعديات الآخرين

فبعض النفوس قد تغفر الإساءة ولكن لا تنساها. **على أن الغفران الحقيقى لابد أن يقترن بنسيان الإساءة أى إسقاطها إلى غير رجعة دون اختزانها لاستدعائها أو التذكير بها.**

نعم .. إن كبرياء الإنسان يجعل من نسيان الإساءة أمراً عسيراً بالفعل. ومن هنا فالحاجة ملحّة لمساندة النعمة. كما تساعدنا عليه حقيقة أننا لن نتمتع بالغفران دون أن نغفر للآخرين " **اغفروا يغفر لكم**" (لو٦: ٣٧) " **فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم** " (مت٦: ١٤، ١٥، مر١١: ٢٥، ٢٦).

وعلينا أن ندرك أن كلنا تحت الضعف ومعرضون للتجربة، ومسامحتنا للآخرين تشجعهم هم أيضا على الغفران متى جاء الوقت فتنكسر حلقات الكراهية وتنتصر المحبة. ولا شك أن من ينسى الإساءة سريعاً يحتفظ بصفاء نفسه وينجو من فكر الانتقام ويظل متمتعاً بسلام الله وأمنه.

## (٣) أنسى سقطات الآخرين ونقائصهم

.. كى لا أنزلق إلى إدانتهم قولاً أو فكراً أو قلباً، أو احتقارهم والاستهزاء بهم، أو عقد المقارنات بينى وبينهم (كما فعل الفريسى مع العشار- لو١٨: ١١) ويتراجع سهرى وحذرى ولا أنتبه إلى عيوبى، وربما تخلت عنى النعمة فأتعرض لهجمات العدو وأتجرع ذات الكأس؛

بل أصلى من أجلهم كى يحررهم الله كما حررنى. وأصلى من أجل نفسى لئلا أنزلق إلى ما سقطوا فيه " **أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأُخذ فى زلة ما فأصلحوا انتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرب أنت أيضاً** " (غل٦: ١). " **ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها**"(مت٧: ٣، لو٦: ٤١).

إلهنا المحب هبنا نعمتك كي نظل دائماً **نذكر** عملك من أجل خلاصنا واحساناتك المتجددة كل صباح، وألا ننسى انتماءنا إلى الملكوت السماوي، والالتزام بوصاياك ووعودك، وممارسة محبتنا للقريب بكل فرح، لأن هذا كله يتجاوز قدراتنا، ولأننا في حياتنا الجسدية لا نستطيع أن نرضيك (رو ٨:٨)؛

وهبنا يا إلهنا نعمتك كي نستطيع أن **ننسى** ما هو وراء سواء كان ذلك خبرات نجاحنا أو مواقف فشلنا ونكساتنا، فالأولى قد تعطلنا عن التقدم أكثر والثانية تحبطنا وتعثرنا وتزرع اليأس في قلبنا؛ ولكي **ننسى** أيضاً إساءات الآخرين متمثلين بغفرانك لصالبيك حتى إذا غفرنا تغفر لنا زلاتنا؛ ولا تسمح أن تشغلنا زلات الآخرين وعيوبهم عن إدراك نقائصنا ونواحي الضعف فينا، كي تتحنن علينا وتنقينا لنمتد دوماً إلى ما هو قدام.

**آمين يا رب ... اسمع واستجب.**

# المسيحي في مجتمع مضاد

ماذا ينبغي أن يكون رد فعل المسيحي على الذين يرفضون المسيح ويرفضونه هو بالتالي ؟

كيف يتصرف بإزاء ضعف المحبة أو الفتور أو الإهمال أو أحياناً الكراهية الصريحة؟ وماذا بإزاء اغتصاب حقوقه أو افتقاده المساواة لأنه مسيحي؟

تعالوا نقرأ هذا الجزء من انجيل لوقا (٩:٥١-٥٦) الذي يسجل حواراً بين الرب وتلميذيه يعقوب ويوحنا :

"وحين تمت الأيام لارتفاعه ثبّت وجهه لينطلق إلى أورشليم وأرسل أمام وجهه رسلاً. **فذهبوا ودخلوا قرية للسامريين حتى يعدّوا له. فلم يقبلوه** لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم. فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا: يا رب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً. فالتفت وانتهرهما وقال: **لستما تعلمان من أي روح أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلّص. فمضوا إلى قرية أخرى"**

فالتلميذان، وقد هالهما أن يرفض السامريون سيدهم وألا يسمحوا لـه بـدخول قريتهم، طلبا العقاب والانتقام، وسألا الرب إن كان يريد أن يطلبا أن تنزل عليهم نار من السماء فتفنيهم. واحتاج التلميذان أن يذكّرهما الرب بحقيقتهما: أنهما مختلفان عن غيرهما طالما أنهما يتبعانه وقال لهما معاتباً منتهراً : "**لستما تعلمان من أي روح أنتما**". فهما ومعهما كل المسيحيين خليقة جديدة أُعطيت وصية جديدة "**أن تحبوا بعضكم بعضاً**" (يو ١٣:٣٤، ١٥:١٣) **وأن يحبوا أعداءهم ويباركوا لاعنيهم ويحسنوا إلى مبغضيهم ويصلوا لأجل الذين يسيئون إليهم ويطردونهم. فلا أجر لنا إن أحببنا الذين يحبوننا، ولا فضل لنا إن سلّمنا على إخوتنا فقط. وعلينا أن نتمثل بأبينا السماوي في رحمته وكمال محبته فهو يشرق شمسه على الصالحين والأشرار كما يُمطر على الجميع أبرار وظالمين**" (مت٥:٤٤-٤٨، لو٦:٢٧، ٣٢-٣٦).

ومن ناحية أخرى فقد أكّد الرب لتلميذيه أن طبيعة رسالته تتنافى مع الانتقام والعقاب إذ هي تقصد الانقاذ من الهلاك "**لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص**" (لو٩:٥٦).

وفي مناسبة تالية ورداً على سؤال متعلق بوصية **محبة القريب**، سرد الرب مثل **السامري الصالح** الذي بيّن فيه أن القريب هو كل الناس الذين تضعهم الظروف في طريقي.. أصدقاء كانوا أم أعداء. وعلى المسيحي أن يكون كسيده الذي ترك مجده وأخلى نفسه (في ٢:٧)، وحمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين (أش ٥٣:١٢)، ومات لأجل الجميع (٢كو٥:١٥).

ونظن أن المجال الذي نحن بصدده يتسع لموقف آخر بين الرب وتلميذيه القديس بطرس، والبستان يعجّ بجنود الهيكل جاءوا في جنح الظلام للقبض على يسوع. وكمتحمس تدفعه محبته لسيده استلّ بطرس سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه. فقال له يسوع "**رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون**" (مت٢٦:٥١، ٥٢ ، يو ١٨:١١). فالمسيح لن يسمح أن تقوم حرب دفاعاً عنه أو انقاذاً له من الصليب بل هو يسير نحوه بخطوات ثابتة انقاذاً لكل الخطاة "**ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه**" (يو١٥:١٣).

ورغم أنه ليس وارداً أن يلجأ مسيحي حقيقي إلى استخدام السلاح رداً على من يرفعون عليه السلاح، فالاعتداء لا يبرر الاعتداء والعنف لا يبرر العنف. ولكن قول المسيح لبطرس موجّه لأي مسيحي حماسته أكبر من إيمانه وغيرته أكثر من التزامه بالإنجيل. وهو أمر قاطع واجب الطاعة : **رد سيفك (أو سلاحك أو عصاك أو حتى يدك) ولا تواجه بغير الكلمة.** وقد يطلب المسيحي الشرطي أو يرفع دعواه إلى القاضي، وقد يتحقق العدل أو لا يتحقق، **وقد يفقد المرء حياته ولكنه رغم كل شئ لن يغامر بخسارة نفسه.**

كتبنا هذه الكلمات لأن هناك خطراً يتهدد المسيحي الذي يعيش في مجتمع يرفضه أو يقاطعه أو يسئ إليه بأي صورة من الصور، هو أن يترلق إلى التعصب والسلبية والانطواء أو العزلة وكلها صور من كراهية الآخر واستقالة صريحة من وصية المسيح.

**فاعلم من أي روح أنت. ولا طريق أمامك غير الحب. فهذا هو طريق المسيح والانجيل.** وإذا تسللت الكراهية إلى قلبك فقد هُزمت وتنكّرت لإيمانك. والحل عندها هو التوبة والرجوع وطلب مؤازرة النعمة **"لا يغلبّنك الشر بل اغلب الشر بالخير"** (رو ١٢:٢١)

**واعلم أن الآخر ليس غريباً عنك.. إنه أخوك وقريبك. والمسيح قد مات من أجله أيضاً كما مات من أجلك** (٢كو٥:١٥) **لأن الله يحب العالم كله وليس المسيحيين فقط** (يو٣:١٦).

إنه تحدٍّ.. ولا سبيل غير أن تقبله مستنداً إلى النعمة. ومسئولية المسيحي الذي أفتقدته نعمة الله وقادته إلى طريق الحياة أكبر من مسئولية غيره، وهو الذي يبشر بعهد جديد مع الله.

**" من قال إنه في النور وهو يبغض أخاه فهو الآن في الظلمة"** (١يو٢:٩)؛ **"ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة"** (١يو٤:٨)

نعم .. لا طريق غير المحبة.

# شباب خارج الأبواب

**( محاولة لدراسة ظاهرة مقلقة )**

**" اخرج عاجلاً إلى شوارع المدينة وأزقتها إلى الطرق والسياحات وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي" (لو١٤: ٢١-٢٣).**

في ختام هذه المجموعة من المقالات التي تناولت جوانب من حياتنا الروحية، نلفت النظر إلى ظاهرة أخذت في التصاعد عام بعد عام وتنذر بتداعيات إن لم نتداركها واستمر تجاهلها فقد لا نستطيع حصارها وإجهاضها.

والظاهرة المقلقة التي نقصدها هي **هذه الأعداد الكبيرة من الشباب من الجنسين يقفون خارج أبواب الكنائس وأسوارها، أثناء خدمة القداس والاجتماعات،** والذين تتزايد أعدادهم خاصة فى ليالى الأعياد السيدية (الميلاد والظهور الإلهى والقيامة). وتراهم فى عالمهم الخاص لا يدرون بما يجرى فى الداخل، ويقضون الوقت فى أحاديث وضحكات (إلى أن ينتهى القداس أو الاجتماع) فيعودون من حيث أتوا.

وتشير هذه النفوس التائهة من الشباب الذين يقفون خارج الأبواب وظهرهم الى الكنيسة إلى تقصيرنا الكبير من نحوهم بينما يُفترض أنهم كنيسة المستقبل فإهمالهم هو إسهام منا مع العالم فى محاصرة الكنيسة وإجهاض رسالتها الخلاصية وحجب نورها عن العالم الذى يتخبط فى الظلام.

## أما عن الأسباب :

(١) فلا شك أن أول الأسباب **هو ضعف الرعاية العائلية** انعكاسا لفتور الصلة بين الوالدين وأبنائهما فى المجال الروحى، واقتصار الاهتمام على توفير المطالب المادية وخدمة رفاهية الحياة، بصورة مبالغ فيها أحيانا، بما يجعلها مصدرا إضافيا للبعد عن الله والانغماس فى حياة الجسد.

(٢) يضاف الى ذلك **محدودية الرعاية الكنسية**، ويبدو أن **خدمة التربية الكنسية تتراجع** تحت وطأة انشغال الكثير من خدام الشباب بالعمل لتلبية المطالب المادية (فى ظروف اقتصادية غير مواتية) وبالتالى ندرة الخدام الباذلين أصحاب المواهب فى خدمة الشباب، وهذه موضع شكوى الكثير من الآباء الكهنة، كما أنها مشكلة مؤسسات شبابية كثيرة، كبيوت المغتربين والمغتربات فيها الحصاد الكثير **ولكن الخدمة فيها تتعثر لقلة الفعلة المؤهلين.**

(٣) فى الوقت الذى يحتاج الأولاد والبنات فى فترة مراهقتهم وما بعدها الى مساندة واهتمام خدامهم وخادماتهم لمساعدتهم على عبور هذه الفترة الحافلة بالمخاطر، **يكون غياب الرعاية والافتقاد والقدوة نوعا من التخلى عن الواجب المقدس الذى يؤدى الى ابتعاد الكثيرين – فى المرحلتين الإعدادية والثانوية – عن الكنيسة** وانسحابهم من حياة القداسة إلى صحبة السوء. بينما لو تمت رعايتهم كما ينبغى لارتبطت حياتهم بشخص المسيح الذى يهبهم حياة النصرة فيجتازون مراهقتهم كأحد أغنى فترات حياتهم بل وينخرط بعضهم فى فصول إعداد الخدام – كما يحدث مع أقرانهم الذين نعموا بالرعاية – ليصيروا خداما للرب بدءا من الثانوية العامة أو الدراسة الجامعية وإلى نهاية الأيام.

(٤) رغم كل شئ فإن الخبرات الروحية التى عرفها هؤلاء أو بعضهم فى أيامهم الأولى تظل تفعل فعلها. فتجدهم يمضون الى الكنائس من حين الى حين خاصة فى المناسبات **ولكنهم لبرودة محبتهم، باستمرار بُعدهم، فإنهم لا يحتملون جو الصلاة ويتهربون من التوبة فيبقون خارج الكنيسة.**

## فماذا عن الحلول؟

إذا نظرنا الى نصف الكوب المملوء لقلنا أن هؤلاء الشباب لا يزالون يحومون حول الكنيسة **ويحتاجون إلى رعاية سريعة قبل أن يلحقوا بمن سبقوهم**، ممن بقوا بعض الوقت خارج جدران الكنيسة، ولمّا لم يلتفت إليهم أحد تركوها بلا رجعة إلى أماكن يسكنها الخطر ويديرها رئيس هذا العالم. فهم كمن يلقى بنفسه فى البحر احتجاجا على إهماله من ذويه:

(١) علينا أولاً أن نعترف بأننا إزاء مشكلة ملحة تتطلب حلاً وأن **نقر بحق هؤلاء الشباب علينا فى خدمتهم والسعى إلى إعادتهم الى طريق الخلاص** والتمتع بعشرة الله والجلوس تحت قدمى السيد. إن لهم حقا فى المسيح كما نحن - كما أننا لسنا أفضل منهم ولولا أن افتقدتنا نعمة الله لكنا مثلهم تائهين فى البرارى والقفار.

(٢) علينا أن نستبعد من دائرة الحلول أية **محاولة للتخلص من هؤلاء الشباب بمنع تواجدهم أو طردهم أو إساءة معاملتهم**، ليتولد فينا الإحساس الكاذب بالقضاء على المشكلة، بينما نحن بذلك نضيف إلى صعوبتها بتبديد هؤلاء الشباب فى التيه بعد أن كانوا على أبواب الكنيسة وكان المطلوب فقط دعوتهم حتى يمتلئ البيت (لو١٤: ٢٣).

إن المسيح لم يأنف من مجالسة العشارين والخطاة بل نبهنا الى أنه لم يأت إلا إليهم. ذلك أن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى (مت٩: ١٠-١٣).

(٣) إن العبد الذى أرسله سيده الى شوارع المدينة وأزقتها للدعوة إلى عشائه العظيم (لو١٤) هو الأسقف والكاهن والشماس وخادم التربية الكنسية بل وكل مؤمن، ورعاية الشباب هى مهمة خطيرة تستحق أن يتخصص لها كاهن مؤهل ضمن كهنة كل كنيسة، وأن يضعها أمين الخدمة ضمن أولى اهتماماته، وأن يُكرَس لها

مسئول شبابى أُعِدَّ إعدادا جيدا للاهتمام بالشباب وخدمتهم وحبهم وبذل نفسه من أجلهم.

**(٤) إن الدور الذى تقوم به أسقفية الشباب فى خدمتهم بالكلمة المسموعة والمقروءة والمؤتمرات الدورية الكبيرة** فى الداخل والخارج - على اتساع القارات- هو موضع التقدير، وثمار هذا الجهد الكبير لا تخطئها العين. وهى لابد واعية لهذه الظاهرة ولكن الامكانيات لا تسعف- **وهى تستطيع مع هذا أن تسهم مع المؤسسات العلمية الكنسية فى الحل بدراسة الحجم الحقيقى لهذه الظاهرة** وتقصى أسبابها واقتراح الحلول المناسبة لها وتخصيص دورات تأهيلية لخدام الشباب وإثارة اهتمام الكنائس بخدمة الشباب وافتقادهم.

**(٥) إن تنشيط نظام العضوية الكنسية وتحديد دائرة خدمة كل كنيسة** سوف يكشف لنا عن الحصاد الكثير المتوارى والذى لم تطأ أقدامه الكنيسة، أو من فعل ذلك لبعض الوقت ثم توقف، أو من يأتى فى المناسبات وحدها. وسيكون افتقاد هؤلاء واستعادتهم الى أحضان النعمة اختطافا لهم من براثن المُهلك. **إن الكنيسة ليست مسئولة فقط عن المنتظمين فى الحضور اليها أو هؤلاء الواقفين بالأبواب أو خارج الأسوار، وإنما أيضاً عن هؤلاء الذين لا يأتون وهم أكثر جدا وفى حاجة إلى إنقاذ "الذى ليس بأحد غيره الخلاص"**(أع٤: ١٢).

**(٦)** هناك سبب شكلى ولكنه قد لا يخلو من أهمية **وهو ضيق مساحات الكنائس** عن استيعاب كل المصلين فى المناسبات الكنسية الكبيرة (كالأعياد والجمعة العظيمة مثلا) (وإن كان لا يعوق الحريصين على الصلاة). وسوف يكون إسهاما فى الحل وتفويت الفرصة على عدو الخير (الذى يضخم العقبات الصغيرة) بتدبير أماكن إضافية للصلاة فى مثل هذه المناسبات مثل استخدام كل القاعات المناسبة (أو حتى إقامة خيمة) بحيث تتاح الصلاة للجميع. على أن يتم تخصيص شمامسة وخدام (وربما أحد الكهنة أيضاً) لدعوة الشباب خارج الأبواب والترحيب بهم للدخول الى هذه القاعات الإضافية التى إما أن تحوى دوائر تليفزيونية مغلقة أو حتى أن يقام فيها قداس مواز لخدمة القداس فى الكنيسة الرئيسية. ولا شك أن هذا الاهتمام الرعوى من الكنيسة نحو هؤلاء الشباب سيؤتى ثمره ذوباناً لجليد الغربة والبعد، ونموّا للشعور

بالانتماء وبداية لعلاقة صحية مع الكنيسة واندماجا فى اجتماعات الشباب بها وربما التحول إلى خدمتها كل الأيام.

✣ ✣ ✣

**يبقى أن نقول .. إن الخدمة الباذلة وتقديم القدوة وانحصار الهدف في دعوة الخلاص واقتياد هذه النفوس بالتوبة لأحضان السيد الفاتح وذراعيه لقبولهم وانقاذهم من العالم الشرير هو ما يحتاجه هؤلاء وهو ما ينبغي أن يكون غاية الكنيسة ومحور اهتمامها.**

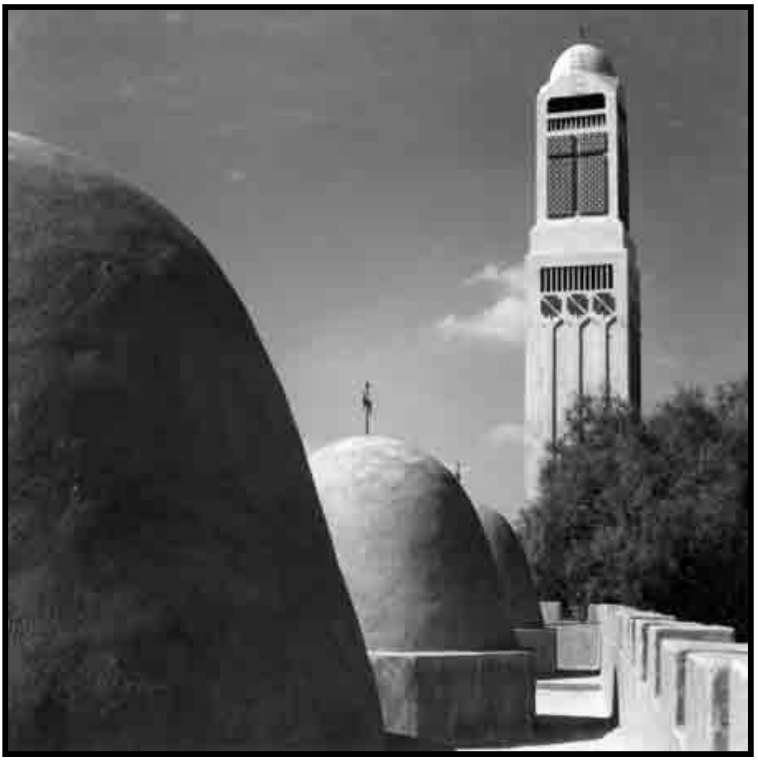

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتاب الأول : **في السلوك المسيحي**

التدين المضاد... ومقالات أخري

الكتاب الثاني : **عـن المسيـــح**

يسوع المسيح الشفيع الكامل... ومقالات أخري

الكتاب الثالث : **المسيح في حياة الكنيسة والخدمة**

عثرة الصليب ... ومقالات أخري

الكتاب الرابع : **شخصيات كتـــابيـــة**

١- القديس بطرس .. أول التلاميذ

٢- القديس بولس .. آخر الرسل

الكتاب الخامس : **قضـــايـــا إيمـــانيـــة**

المسيح يعرفنا عن ذاته ... ومقالات أخري